
الشباب
إلى أين ؟!..

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ٢٠٠٦/١١٤٦٦

الترقيم الدولي : 977-390-082-7

دار ابن رجب طبع. نشر. توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢

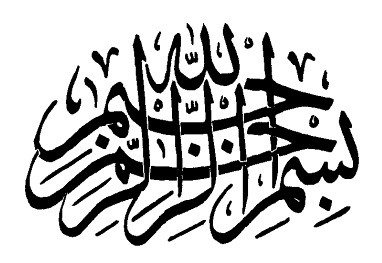
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨



إلى أين ؟!..

تأليف
محمود أحمد راشد

دار ابن رجب



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإلى أين يتجه الشباب في عصر طغى فيه الفساد، وأعداء الله لنا بالمرصاد يريدون أن يدمروا مستقبل الأمة من خلال تضييع الشباب: بنشر الفاحشة، وإشاعة التفاهات من أغانٍ وأفلام؛ فنشأ شباب منحرف في العقيدة، ومتهور في السلوك، مغرور بنفسه؟

شباب فوضوي، معجب برأيه لا يحكمه دين، ولا يتخلق بخلق، أناني في تصرفه، كأنما خلق للدنيا، وخلقت الدنيا له وحده، لا يبالي بما أضاع من حقوق الله تعالى.

فماذا كانت النتيجة؟

جر الأمة إلى أسفل سافلين، وحال بينها وبين كرامتها، ويا للأسى! أصبحت الأمة مطمع أراذل القوم وسفلة الناس، وذلت لمن كتب الله

عليهم الذل والمسكنة من أبناء يهود.

إلىٰ أين يتجه الشباب في الوقت الذي يُذبح فيه المسلمون، وأعداء الله قادمون؛ لاحتلال بلادنا، وإهدار ثرواتنا، وتغريب بناتنا، وضياع أخلاقنا؟

في الوقت الذي يتجه فيه الشباب إلىٰ رسائل وصحف ومجلات، تجر إلىٰ التفسخ من مكارم الأخلاق، تهدم الفضيلة، وتدعو إلىٰ الرذيلة.

إلىٰ أين يتجه الشباب، وهو حائر متردد بين مفترق الطرق لا يميز بين الحق والباطل؟

وإن عرف الحق ووضع قدمه علىٰ الطريق، انفتحت عليه أبواب الشر، وبدأ يسمع صيحات التخذيل، فقائل يقول: لازلت صغيرًا، وآخر يقول: الدين هين لين، فلا تستعجل، والله غفور رحيم.

وثالث يقول: لقد وسوست يا فلان؛ فوقف الشباب تائهًا حائرًا أمام هذه الدعوات الزائفة لا يدري ماذا يفعل، وإلىٰ أين يتجه؟

فأصبح من الشباب من تبلد فكره، وضعفت نفسه، واستولىٰ الشيطان عليه، ضيع الصلاة، لا يعرف ماذا يريد من الحياة؟ ولسان حاله يقول: نعيش نأكل، ونشرب، ونعمل، ونتزوج، وتمر الحياة.

نعم...

شباب بلا أهداف، فلا تعجب أن ينشأ كل يوم مقهىٰ جديدٌ، بل تعد المقاهي الآن أكثر المشاريع رواجًا، لماذا؟

لأن الشباب يجلس عليها بالساعات، تمرُّ عليه تتأسف وتخرج الزفرات على شباب في عمر الزهور.

نعم...

شباب كل عنايته أن يُعجب بفلانة، أو يشتري ملابس، أو يشجع فريقًا يفرح لفوزه، ويحزن لخسارته.

هل هذا معقول؟

هل يعقل أن يكون الشباب لا يعرف ماذا يريد؟

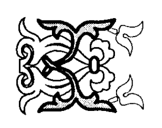
ويبقى السؤال.

أين يتجه الشباب؟

تعالوا نبدأ نقاشًا حول هذه القضية، وهي ركائز بحثي في هذه الرسالة، أسأل الله أن يوفقني، وأن أخرج من هذا البحث مع الإخوة القراء إلى حلول جذرية بصدد هذه المشكلة لا تقف عند حدود كتابة مني، وقراءة من الآخرين.

بل نواجه أنفسنا بأمراضنا بكل صراحة ووضوح، ونجتمع على كلمة سواء لنصرة هذا الدين، وإعلاء كلمة الله تعالى.

والله أسأل أن يوفق الجميع، ويسدد الخطا، إنه نعم المولى، ونعم النصير.



لماذا نخص الشباب بالحديث؟

لماذا نخصك بالحديث أخي الشاب؟

من حقك أن تسأل هذا السؤال، ومن واجبنا أن نجيبك على تساؤلك.

نوجه لك الحديث؛ لأنك ساعد الأمة القوي، وأملها المرجو، وغدها المرتقب، يعقد عليك الأمل الكبير بعد الله - عز وجل - في نصرة دينك وإعلاء كلمة ربك.

أخي الشاب:

هل ظهر الدين إلا على أكتاف الشباب؟

هل كان أصحاب الكهف إلا شباباً؟ قال تعالى: ﴿ **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾ [الكهف: ١٣].

هل كان نبي الله إبراهيم عندما حطم الأصنام إلا واحداً من الشباب، قال تعالى: ﴿ **قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ** ﴾ [الأنبياء: ٦٠].

هل كان نبي الله يحيى مجاهداً إلا وهو في سن الشباب، قال تعالى: ﴿ **يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا** ﴾ [مريم: ١٢].

أخي الشاب:

هل تدري أن أول من صدّق النبي ﷺ وآمن به هم الشباب؟!

هل تدري أن أول من قتل في المسلمين يوم بدر هو شاب؟ وهو حارثة بن سراقة - رضي الله عنه - وقال النبي ﷺ لأمه: «**إن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**»[(١)] .

وهل تدري أن شابين من الأنصار وهما: معاذ ومعوذ ابنا عفراء - رضي الله عنهما - هما اللذان قتلا أبا جهل فرعون هذه الأمة؟!

أخي: نريدك أن تكون من هؤلاء:

شباب مؤمن بالله يمضي	وللإسلام يندفع اندفاعًا
ويعلنها بعزم إن دربي	إلى الجنات يأخذني سراعًا
شباب لم تدنسه المعاصي	ولم تتركه في الدنيا ضياعًا
أولئك هم شباب للمعالي	لقد بُعِثوا لدُنيانا شعاعًا

ومازال السؤال مطروحًا: لماذا نخص الشباب بالحديث؟

أخي الشاب، نخصك بالحديث من باب الأخوة في الله، ومن باب التواصي على الحق، ومن منطلق قوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[(٢)]، فأنت أخ لنا مهما صدر منك من خطأ، أو عندك من معصية، فالأخوة بيننا وبينك قائمة، فمهما انحرفت عن طريق الاستقامة، وارتكبت كثيراً من المعاصي، فالأمل في العودة إلى الاستقامة ما زال موجوداً، وباب التوبة ما زال مفتوحًا، حتى تطلع

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

الشمس من مغربها، أو تبلغ الروح الحلقوم.

ما تعنيه كلمة الشباب:

أخي الشاب، أتدري ما تعنيه كلمة الشباب؟

قال العلماء: أصلها: الحركة والنشاط.

أخي: إن للشباب حرارة إن لم تطفأ ببرد الإيمان الصادق، أهلكت صاحبها.

وسأعرض عليك نموذجًا لحيوية الشباب، وعلو همتهم في قصة السبعين الذين استشهدوا ببئر معونة خير مثال للشباب المجتهد في علمه وعمله.

ففي صحيح مسلم عن أنس - رضي الله عنه - قال: جاء ناس إلىٰ النبي ﷺ فقالوا أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار، يقال لهم: القراء... يقرءون القرآن ويتدارسونه بالليل، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء، فيضعونه في المسجد ويحتطبون، فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة.

انظر أخي الشاب إلىٰ هؤلاء السبعين من الشباب، كيف كانت همتهم في قراءة القرآن، وتعلم العلم، حتىٰ عُرفوا بالقراء، ومع هذه الهمة في العبادة... فلهم همة بالعمل، فلم يكونوا عالة علىٰ أهليهم، أو علىٰ المجتمع من حولهم، بل كانوا يحتطبون ويبيعون.

بل تجاوز نفعهم للآخرين، حينما كانوا يشترون الطعام لأهل الصفة

والفقراء.

ولم يقعدهم ذلك كله عن الجهاد في سبيل الله، والدعوة لدينه:

كذلك أخرج الإسلام قومي	شبابًا مخلصًا حرًّا أمينا
شباب ذللوا سبل المعالي	وما عرفوا سوى الإسلام دينا
تعهدهم فأنبتهم نباتًا	كريمًا طاب في الدنيا غصونا

وأهدي إليك هذه القصة:

شاب عمره أربعة عشر عامًا، وجهه يشع بنور الإيمان، ولا نزكيه على الرحمن، إذا دخلت عليه، يقابلك بابتسامة، تحس منها بالصدق، وتشعر عندما تراه برحمة تخالج قلبك، ورأفة تود أن تترجمها إلى دمعة، تذرفها من عينيك، ولكن ما إن تجلس معه دقائق قليلة، حتى تحقر نفسك...

نشيط في الدعوة إلى الله، قدر ما يستطيع، حفظ تسعة أجزاء خلال سنة، هي عمره على طريق الهداية، سئل ذات مرة: ما الهم الذي تحمله؟

قال: همي أن يهتدي الناس، وأن يدخلني الله الجنة برحمته.

بقي أن تعرف أخي أن هذا الشاب مصابٌ بشلل رباعي نتيجة حادث قبل خمس سنوات.

فيا صحيح الجسم، هل تحمل نفسك همَّ هذا الشاب الذي لا يستطيع تحريك عضو من جسمه سوى رأسه؟ وللعلم، فإن هذا الشاب يرقد على

السرير الأبيض في أحد المستشفيات، فلا تنسه من صالح دعائك .

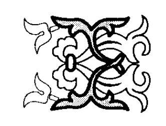
انظر أخي الشاب إلى هذه النماذج:

معاذ بن جبل : يبعثه النبي ﷺ لأهل اليمن، وكان عمره آنذاك عشرين سنة .

أسماء بنت أبي بكر : تحمل الطعام إلىٰ النبي ﷺ في الغار، وتقوم بدور كبير في الهجرة، وعمرها ثلاث وعشرون سنة .

علي بن أبي طالب : ينام في سرير النبي ﷺ ليلة الهجرة، وعمره عشرون سنة، رأىٰ فيه النبي ﷺ أنه يصلح لهذه المهمة، فأعطاه إياها .

* * *



نظرة في أحوال الشباب



إن الناظر اليوم في الشباب، يجد شبابًا، وفقهم الله للالتزام بالطريق المستقيم، فعرفوا حق الله عليهم، فهم شباب مؤمن بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ.

شباب مؤمن بدينه، محب لربه، يتبع رسوله محمداً ﷺ في قوله وعمله، شباب ذو خلق ودين، فهو مهذب الأخلاق، لين الجانب، رحب الصدر، كريم النفس، طيب القلب.

إنهم الشباب الصالح الذين يتسابقون للمساجد، وغيرهم يتسابق للملاعب، يتسابقون لدروس العلم ومجالس الدعاة، حين يتسكع الآخرون في الشوارع والأسواق، يقومون في ظلمة الليل يتضرعون بين يدي الله، بينما يسهر غيرهم على معصية الله، إذا فعل الصغيرة ندم وتاب، حين يفاخر سواهم بالكبائر والموبقات.

فهذا الشباب مفخرة للأمة، وفجرها الزاهي، وأملها المرجو، هو الشباب الذي نرجوا الله من فضله أن يصلح به ما فسد من أحوال الإسلام والمسلمين، وينير به الطريق للسالكين.

أخي الشاب:

إنهم بشر مثلك. ولهم رغبات وشهوات، ولكن تقواهم تمنعهم من

فعل المعاصي، وتقربهم من الهداية والاستقامة، ألا تستطيع أن تفعل مثل ما يفعلون؟ وتنتصر على نفسك كما ينتصرون؟

ما الذي يمنعك من الاستقامة؟

لسان حالك يقول: أستطيع، ولكن كيف أجتاز العوائق وأسلك الطريق؟

فإليك نموذج من شباب كان مُعرِضًا عن الهداية والاستقامة، فأصبح من أهل الصلاح والتقوى والورع..

وروي عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه مرَّ ذات يوم في موضع من نواحي الكوفة، فإذا بفتيان فُساق، قد اجتمعوا يشربون، وفيهم مغن يقال له: زاذان. يضرب، ويغني، وكان له صوت حسن، فلما سمع ذلك عبدالله، قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله! وجعل الرداء على رأسه ومضى.

فسمع زاذان قوله فقال: من كان هذا؟

قالوا: عبدالله بن مسعود، صاحب رسول الله ﷺ.

قال: وأي شيء قال؟

قالوا: إنه قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله تعالى!

فقام وضرب بالعود على الأرض فكسره، ثم أسرع، فأدركه وجعل المنديل في عنق نفسه، وجعل يبكي بين يدي عبدالله بن مسعود، فاعتنقه ابن مسعود، وجعل يبكي كل واحد منهما، ثم قال عبدالله: كيف لا

أحب من قد أحبه الله ـ عز وجل؟ فتاب إلىٰ الله ـ عز وجل ـ من ذنوبه، ولازم عبدالله بن مسعود، وأخذ حظًا من العلم حتىٰ صار إمامًا في العلم[١] .

وثمة طائفة أخرىٰ من الشباب بلا هوية، وبلا أهداف همه أن يأكل ويشرب، كل اهتماماته أن يصنع لنفسه مستقبلاً؛ لذلك أعداء الله يدرسون أحوال هذا الشباب، ويحددون غاياتهم، ومن خلال هذا يعلمون كيف يكون سقوط المجتمع بعد مُضِي فترة من الزمن.

ويؤيد هذا أن المسلمين ظلوا في الأندلس ثمانية قرون، ملئوا خلالها الأرض حضارة وعلمًا ودينًا، ولم يكن البرتغاليون راضين عن وجود المسلمين في الأندلس. وكانوا يريدون طردهم إلىٰ المغرب العربي، فماذا يفعلون؟

بدأ البرتغاليون في دراسة اهتمامات الشباب المسلم في الأندلس؛ لهذا الغرض، وذات يوم دخل بعض الجواسيس علىٰ مجموعة من الشباب، فوجدوا مشادة بين شابين، ففرحوا وذهبوا؛ ليتحققوا من الأمر، فوجدوهما يختلفان حول ترتيب حديث في صحيح البخاري، فرجعوا، وقالوا: لا تسقط هذه الأمة الآن.

ومرت سنون وعاد الجواسيس مرة أخرىٰ، فوجدوا الشباب ما زال يتكلم في قضايا العلم والدين، فعادوا خائبين مرة أخرىٰ وبعد سنين

(١) كتاب «التوابين» لابن قدامة ص (٢٢٢).

عادوا مرة ثالثة، فوجدوا شابًّا جالسًا يبكي، فسألوه ماذا يبكيك؟ قال: لقد تركتني رفيقتي، فعاد الجواسيس وقالوا: الآن يمكنكم أن تنتصروا على المسلمين، وبالفعل سقط المسلمون، وطردوا من الأندلس بمنتهى البساطة، وبعدها بخمس وعشرين سنة كان كل شيء قد انتهى تمامًا، ولم يعد للأندلس ذكر.

أخي الشاب:

أهمس في أذنيك بسؤال واضح صريح، يحتاج منك إلى إجابة صادقة، فلا تجبني، وتقول: أستاذ فلان، دكتور فلان، مهندس فلان.

ليس عن هذا أسألك، ولكني أسألك هل أنت مسلمٌ حقًّا؟ هل تعمل بما تسمع.

وأسئلة أخرى تطرح نفسها.

ما اسمك عند رب العالمين؟ وما وظفيتك عند الله؟ هل أنت فلان الكذاب، أو الغشاش، أو المنافق، أم أنت فلان المؤمن، أو الموحد أو القوام الصوام[1] .

أخي الشاب:

هل قرأت سورة «البروج»؟ نعم قرأتها، ألا سمعت ما حكاه رب العالمين عن قصة أصحاب الأخدود، وعلمت أن أهل القرية آمنوا على

---

(١) «الجدية في الالتزام» ص (١٩).

يدي الغلام؟

انظر كيف ضحى بحياته في سبيل هداية الناس وإيمانهم برب العالمين، ألا ترى أن هذه نماذج عملية؟ فكيف وصلوا إلى ما وصلوا إليه؟ أهم ملائكة؟ أم هم معصومون؟ أم إنهم بشر مثلك؟

إن قوي العزيمة من الشباب من تكون إرادته محكومة بدينه ليس عبداً لشهواته.

اسمعوا أيها الشباب إلى صقر قريش عبدالرحمن الداخل في قصة حفظها لنا التاريخ.

حينما عبر هذا الصقر البحر أول قدومه على الأندلس أُهديت له جارية بارعة الجمال، فنظر إليها، وقال: إن هذه من القلب والعين بمكان، وإن أنا شغلت عنها بما أُهِمُّ به، ظلمتها، وإن أنا اشتغلت بها عمَّا أُهِمُّ به، ظلمت همَّتي، ألا فلا حاجة لي بها، ثم ردَّها إلى صاحبها.

أيها الشباب: إن الشهوات والعواطف، وحب الراحة، وإيثار اللذات، هو الذي يسقط الهمم، ويفتر العزائم.

إن الشباب إن لم يشغل بالحق شُغل بالباطل، وإن لم يشغل بالأفكار الجادة (نهبته) الأفكار الطائشة، وعاش في جو مليء بالترهات والمهازل.

* * *

أخي الشـاب: في نفسي إليك حاجات كثيرة أرىٰ أن أعرضها عليك وليس بيني وبينك ثالث إلا الله فأريد أن أسألك بل أعاتبك .

قال : اسأل ما بدا لك .

قلت : ما يمنعك عن الالتزام والاستقامة؟

قال : لا أخفي عليك فالأسباب كثيرة .

قلت : هات الأول منها .

قال : لأصارحنك الحديث ، إنها نفسي الأمارة بالسوء ، تُزين لي المعصية ، فجعلت ألهث وراء كل لذة وشهوة ، دون وازع ديني يعصمني ، ولا ضمير يعاتبني ، ظننت أن هذه الشهوات ستحقق لي كل سعادة ، فما زادتني إلا بعداً عن الله ، وغرني طول الأمل ، وظننت أنني سأعيش طويلاً ، فأقول لنفسي : ما زلت صغيراً ، والعمر أمامك طويلٌ ، تمتع بشبابك ، وذق طعم الدنيا ، ولا يزال الوقت مبكرًا ، فإذا تقدم بك العمر ، وأخذت من الدنيا ملذاتها وشهواتها ، فعند ذلك أتوب إلىٰ الله .

قلت : يا أخي الكريم ، اسمع هذه النصيحة من أخ ناصح مشفق ، حريص علىٰ سعادتك في الدنيا والآخرة ، فأملي أن تفتح لي صدرك ، وترعي لي أذنك ، آملاً أن أجد منك قلبًا مفتوحًا ، قلبًا يزهد في دنياه ،

ويُقبل على أُخراه، قلبًا يطمع في الجنة، ويخاف من النَّار.

أخي الشاب:

هل فكرت في الموت، وما فيه من سكرات وما لخروج الروح من آلام وشدائد، هل فكرت حين يكشف لك المصير، وتعرف الحقائق.

فكم من شاب مات وهو في زهرة عمره وريعان شبابه، فودعه الصديق والقريب بدموع الحسرات على شبابه، وعنفوان عمره!

هل فارق الدنيا مسرفًا مذنبًا فيا حسرتاه إذا أتته ملائكة العذاب... وواحسرته يوم أن يكون قبره حفرة من حفر النيران.

أخي:

يوشك أن ينادي المنادي فتجيب، فاحذر أخي من سوء الخاتمة، فإن العبد يُختم له في هذه الدنيا بآخر أعماله، فإياك أخي أن يأتيك الموت وأنت غارق في المعاصي والشهوات! فتندم حين لا ينفع الندم، فاحذر أخي عذاب الله تعالى، ولا تقل: إن الله غفور رحيم... أجل إن الله غفور رحيم، ولكنك أخي هل نسيت أنه شديد العقاب أليم العذاب لمن عصاه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

أخي الشاب: ألا تعلم أنك في هذه الدنيا سائر إلىٰ ربك راحل.

آن الرحـــيل فكـن علـى حـــذر ... مــا قــد ترى يـغني عن الحـــذر
لا تغـتـر بالـيـوم أو بغـــــــد ... فلـرُبَّ مـــغـــرور عـلى خـطر

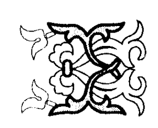
قال الفضيل بن عياض لرجل كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة، قال: أنت منذ ستين سنة تسير إلىٰ ربك، توشك أن تبلغ، قال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال الفضيل: هل تعرف تفسير ما تقول: قال: لا، قال: أنت لله عبد وإليه راجع، فمن علم أنه لله عبد، علم أنه لابد لله راجع، ومن علم أنه راجع، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف، علم أنه مسئول ومن علم أنه مسئول فليعد للسؤال جوابًا، قال الرجل: ما الحيلة، قال: يسيرة، قال: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي، يغفر لك ما مضىٰ.

أخي الشاب:

لو أيقنت بهذا كله لهانت عليك دنياك، وصغر عظيمها وكبيرها في عينيك، ولا طمأن قلبك، وارتاحت نفسك، وقنع هواك، وأقبلتَ علىٰ طاعة مولاك.

ثم قلت: يا أخي الكريم، هات ما عندك لا تخفي عني أي شيء قال: لا أحد غيرهم، إنهم رفقاء السوء، فقد ظلوا ورائي حتىٰ زينوا لي كل معصية، وحببوا إليَّ كل حرام، حتىٰ وقعت فريسة تحت إغراءاتهم، وحتىٰ صرت واحدًا منهم، أفكر بتفكيرهم، وأشاركهم في انحرافاتهم وضلالاتهم.



رفقاء السوء



وأقول: إن هذا السبب وهم رفقاء السوء من أهم الأسباب التي تجعل الشباب يتنكب الطريق ويزداد انحرافه يومًا بعد يوم، فهم أشد خطرًا من شيطان الجن، إذا قلت: أعوذ بالله من شيطان الجن، ولى هاربًا، أما شيطان الإنس يملك لسانًا وجدلاً يزين به الباطل، وأيضًا أنت تراه ويراك فتتأثر برؤيته، فيضعف قلبك، ويسرق عقلك، فيجذبك في طريق المعصية وأنت لا تشعر، فيجب عليك أن تحذره وتهرب منه، فهو أهل شر وفساد.

وهذه مشكلة يقع فيها كثير من الشباب تبدأ من سن المراهقة أو من المرحلة الثانوية.

وحين تسأل الشاب متى كانت بداية ضياعك؟

يقول لك: من الثانوي يوم ما عرفت فلانًا.

لذا يقول الرسول ﷺ: «**المرء مع من أحب**»[1].

انظر أخي الشاب مع من تحب أن تأتي يوم القيامة اختر لنفسك، لسان حالك يقول: أنا أحب أن أكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

---

(١) رواه البخاري (٦١٧٠)، ومسلم (٢٦٤١).

إذن عليك أن تأخذ قراراً جريئًا بالبراءة من رفقاء السوء، ومصاحبة أهل الصلاح .

ألا سمعت وصية رسول الله ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[١] .

اسمع أخي الشاب هذه القصة، ونهديها لكل من له صديق سيئ ولا يزال مصرًّا أن يصاحبه .

كان أبو جهل أشد الناس كفراً وأسوأ الناس كراهية للنبي ﷺ كان له صديق حميم اسمه عقبة بن أبي معيط، عقبة بدأ يسمع للنبي ﷺ وكان متردداً في قبول دعوة النبي ﷺ وفي هذه الفترة سافر أبو جهل، وبدأ عقبة يسمع للنبي ﷺ ويسمع له وبدأ يتأثر، فعرض النبي ﷺ عليه الإسلام فقال: نعم آتيك في الصباح وأسلم يعني اليوم، وفي نفس اليوم عاد أبو جهل من سفره، ويقابل عقبة، فيقول له عقبة: إني أفكر في الإسلام، فيقول له أبو جهل: أقسمت عليك بما بيني وبينك من صداقة أن تعود الآن إلىٰ محمد فتبصق علىٰ وجهه ويسمع الكلام ويفضل كلامه علىٰ كلام الله .

انظر أخي الشاب بعدما كان سينطق بالشهادتين يدفعه صاحبه إلىٰ الكفر ليكون من أصحاب جهنم، وصار عقبة من أكثر الناس إيذاء لرسول الله ﷺ فكانت نهايته عبرة للمعتبرين، مات كافراً مقتولاً في

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٣٣٧٨).

غزوة بدر، وانتفخ بعد ما مات مباشرة ولم يقدروا على إلقائه في حفرة، فظلوا يردمون عليه في نفس مكانه الذي مات فيه، ونزل في شأنه قُرآن يُتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٨].

احذر أيها الشاب الرفقة الفاسدة فهي حرب ضروس عليك حتى تتقاعس عن التمسك بدينك.

وكم من شاب تهدمت حياته، وانسلخ من دينه وأخلاقه، وأصبح منبوذًا في المجتمع، وأخذ ينغمس في الملذات والشهوات بسبب رفقاء السوء.

اعتراف من داخل دار الأحداث:

وأهدي لك أخي الشاب هذا الاعتراف من داخل دار للأحداث يقول فيها:

أبعث إليكم بمشكلتي التي لا أعرف لها حلاً عسى أن يكون لديكم حل، وإن كنت أستبعد ذلك، فأنا سجين لديكم في دار الملاحظة، ولا تسألوني عن السبب، لا أحد غيرهم.. إنهم رفقاء السوء!!

فقد زينوا لي المال الحرام، وضرورة اكتسابه بأي وسيلة، وظلوا ورائي حتى قادوني إلى هذا المصير، عشت حياة حافلة بالمعاصي، ضاربًا بنصائح أبي وتوجيهاته عرض الحائط حتى يئس مني وقال لي: إنني لم أقصر حيالك في شيء، وحاولت أن أصلحك ولكن يبدو أنه لا فائدة

فيك، وأنا أشهد الله تعالىٰ أنني غير راض عنك وعن أعمالك، وأترك أمرك لله.

لم أعر كلامه اهتمامًا كبيرًا، وظل حالي كما هو حتىٰ وقعت في أيدي رجال الأمن في قضية سرقة كبيرة، ودخلت الدار عندكم، وعلم أهلي بذلك فلم يزرني إلا شقيقي الأكبر، وأخبرني أن أبي مريض، وأنه طريح الفراش لا يغادر البيت إلا للصلاة متكئًا علىٰ أحد إخوتي.

ومرت الأيام والشهور، وأنا سجين الدار لا يزورني إلا شقيقي الأكبر، علىٰ فترات متباعدة، وكان ينقل إليَّ أخبار أبي الذي تزداد حالته سوءًا مع مرور الأيام، وبعد ستة أشهر أخبرني بخبر لم أكن أتوقعه، ولم يخطر لي علىٰ بال، لقد توفي أبي الحنون!!

فشعرت أني أنا السبب في مرضه ووفاته، وأخذت أبكي وأعض أصابع الندم، ولكن بعد فوات الأوان، لقد كنت أعتزم بعد خروجي من الدار أن أعود إلىٰ أبي نادمًا أسأله الصفح عما بدر مني، والعفو عما سلف، وأن أكون له نعم الابن المطيع البار، ولكن ماذا أفعل؟ وكيف السبيل إلىٰ رضاه وقد رحل عن دنيانا إلىٰ دار البقاء؟[1].

أرجوكم يا شباب، اختاروا أصحابكم.

أرجوكم حتىٰ لا تدمروا مستقبلكم، حتىٰ لا تندموا العمر كله.

---

(١) «اعترافات متأخرة» ص (٣٥٠).

قال بعضهم:

تعرفت على مجموعة من الشباب وبدأت أقضي معظم أوقاتي معهم في السمر إلى ساعات متأخرة من الليل ما بين شرب الشاي ولعب الورق، وكانت سهرات بريئة، ولكنها بدأت تأخذ في الانحراف شيئًا فشيئًا، فوجدت نفسي أتناول سيجارة من أحد الأصدقاء بحجة أنها تساعد على اللعب والتفكير، ولم أجد أي غضاضة في ذلك، ويا ليت أن الأمر اقتصر على هذا.

كم كنت أتمنى أن الموت هجم عليَّ قبل تلك اللحظات التي قال لي أحدهم: يا محمد أنت أخونا ولا داعي أن نخفي عليك، خذ هذا الكأس واشرب. نظرت إليه، ماذا؟ خمر! لا يمكن أن أشرب، وأخذت أنصح وأبين خطورته ولكن دون جدوى، فقد أخذوا يسخرون مني ووجدت نفسي مضطرًّا إلى الجلوس معهم، وبعد محاولات عديدة تناولت نصف كأس واحتسيته، ومنذ تلك اللحظة صرت مدمنًا، وأنا الآن في انحطاط ودمار، سجنت مرارًا، وطلقت زوجتي، وضاع مستقبلي، وذلك بسبب قرناء السوء. اهـ[1].

فانتبه أخي الشاب:

تعرف على شباب يعينونك في إصلاح دينك ودنياك، وأمَّا أصدقاء السوء، أهل المعاصي والذنوب، أهل المخدرات، فاهجرهم وتبرأ

---

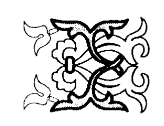
(١) من كتاب «الهاربون من جحيم المخدرات».

منهم، ولله در القائل :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وإذا رأيت نفسك أخي الشاب تميل إلىٰ من تعرفهم بالشر والفجور فاعلم أنك مريض، إما مرض شبهة، أو مرض شهوة، فاتهم نفسك وداو عيوبك، وطهرها من أوزارها حتىٰ تتآلف مع أهل الصلاح، فتحل الألفة مكان النفرة.

* * *



الأصدقاء ثلاثة



أخي الشاب: الأصدقاء ثلاثة:

١ ـ صديق منفعة.

٢ ـ صديق لذة.

وهذان ينقطعان بانقطاع موجبهما، فإن فاز الأول بما يريد من منفعة طواك من دفتره، وإن فاز الثاني منك بلذته فعل كما فعل الأول، فاحذر هذين أشد الحذر.

٣ ـ صديق فضيلة:

تجتمع معه على طاعة وخير، وتنشأ بينكما أخوة في الله، لم يحبك لشيء إلا لأجل استقامتك، فإن ظفرت به فلا تتركه ولكن احذر أن تكثر من مخالطته وليكن كالدواء تأخذه إذا مرضت[١].

وما زال الحوار يجري بيني وبين أحد الضحايا من الشباب فقلت: له يا أخي لماذا كنت من بين الضحايا؟

فقال ودموعه تنساب على خديه: إن حياتي ليس فيها شيء يستحق الذكر، فعلى الرغم من إدماني للمخدرات، وادعاء بعض المدمنين بأنها

---

(١) انظر «رسائل إلى شبل الإسلام» (ص١١).

تجلب الراحة النفسية والشعور بامتلاك كل شيء يفكر فيه الإنسان، إلا أنني لم أجد منها إلا المصائب، والهرب من المجتمع، وفقدان الضمير والأهل والأصحاب، وعلاوة على ذلك الإفلاس المادي.

إن الصعوبة التي يجدها أعداء الأمة الإسلامية في تنفيذ مخططاتهم، ـ وأولها نشر المخدرات ـ ناتجة عن تمسك مجتمعنا بأحكام شريعة الله، والتي هي العاصم الأكبر من الاتجاه لهذا الطريق.

❊ ❊ ❊



ولا يخفىٰ علىٰ البصير أن هذا سبب من الأسباب التي تؤدي إلىٰ انحراف الشباب وهو تعاطي المخدرات وشرب الخمور، وقد بدأت تفتك بالمجتمعات وتسري فيها سريان النار في الهشيم، ولا شك أن أعداء الإسلام والمغفلين من أبنائه لهم دور كبير في نشر هذه الآفة في مجتمعاتنا الإسلامية، وفي أوساط الشباب خاصة للقضاء علىٰ هذا الدين وأهله، حتىٰ أصبحنا نسمع قصصًا مفزعة من قتل ونهب وسلب وخطف وفواحش ووقوع علىٰ المحارم عياذًا بالله، كل ذلك بسبب هذه الآفة المدمرة[1].

أسباب تعاطي المخدرات وانتشارها:

هناك أكثر من سبب يدفع الشباب إلىٰ تعاطي المخدرات، ومن هذه الأسباب:

١ ـ وفرة المال مع الشباب قد تدفعه إلىٰ تعاطي المخدر من قبيل البذخ واللهو.

٢ ـ المعالجة لبعض الأمراض ظانًّا أن هذا حلال.

٣ ـ حب الاستطلاع والتجربة، ولكن حذار فالتجربة هنا مدمرة.

---

(١) «اعترافات متأخرة» (ص٦٠).

٤ ـ قد يكون السبب في ذلك حب الظهور والميل إلىٰ تقليد الرجال .

٥ ـ الرغبة في زيادة القدرة علىٰ العمل أو السهر للمذاكرة وغيرها .

٦ ـ الاعتقاد الخاطئ بعلاقة المخدرات بالجنس .

٧ ـ وهو من أهم الأسباب : ضعف الوازع الديني وعدم اللجوء إلىٰ الله في الشدائد والمحن ، فلو تمسك المسلم بدينه وقوىٰ إيمانه بالله لما أقدم علىٰ ارتكاب هذه المعصية مهما كانت الظروف ، ومهما اعترضه من مشاكل الحياة ، ففي الإسلام الدواء النافع لكل مشكلة[1] .

❊ ❊ ❊

(١) «المخدرات والعقاقير النفسية» د/ صال السدلان (ص٧١) .



اعترافات بعض المدمنين



يا شباب بعض اعترافات المدمنين:

يقول مدمن في إحدىٰ اعترافاته:

في أخطر مرحلة من عمري انفلت زمام نفسي مني، أصبحت في أيدي رفقاء السوء من ضحايا وباء هذا العصر، فتناولت المنشط والمخدرات والمهدئات، فضاع مني إيماني، وقسا قلبي وتحجرت أحاسيسي.

أدرت ظهري لديني وأهلي، ونسيت الصبر، وضاعت مني الإرادة، لم أعد أعرف إلا الخوف والقلق، والدتي وأختي هما أول ضحاياي بعد نفسي ومستقبلي.

ولأنه لابد من المزيد سرت نحو الهلاك، وقبلت فكرة الترويج، ابتعد عني الجميع، سافرت بعدها هربًا من واقعي، فوقعت فيما هو أشد فتكًا وخطرًا، وافترستني عدة أمراض نفسية وبدنية، ولما فقدت ما معي عدت محمولاً علىٰ أكتاف زملاء المصالح موبوءًا مكروهًا منبوذًا وعاطلاً.

أدخلت مستشفىٰ، وهناك لقيت كل رعاية واهتمام، عولجت وعوقبت علىٰ أخطائي، بعدها اتجهت بتوبتي لربي لعله يغفر لي ويسامحني، وأصبحت عَدَاوتي للمخدرات هي شعاري، عانقت الأمل

من جديد، وتغيرت نظرتي للحياة، أبحث عن عودة المياه إلى مجاريها بيني وبين أهلي ومجتمعي، أتقبلوني؟ أتمنى ذلك من كل قلبي، وأرجو أن تكون قصتي عبرة لكم ولغيري، فهل من معتبر[١] .

اعرفوا يا شباب وتصوروا مقدار الخطر الذي يحيق بكم فإن أعداءكم لكم بالمرصاد، وينبغي ألا يغيب عن بالكم، أن أعظم ما يخطط له أعداء الله انتشار هذا الداء الفتاك الذي يأخذ الصحة والمال والعقل والأخلاق، ولا تعطي غير الهذيان والجنون، وقد تؤدي إلى الانتحار، وارتكاب الجرائم البشعة، وتاريخ المدمنين مليء بالضحايا.

اسمعوا يا شباب ما يقوله المستشرق (شاتليه) في كتابه «الغارة على العالم الإسلامي»:

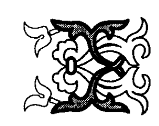
إذا أردتم أن تغزوا الإسلام، وتقضوا على هذه العقيدة، التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة، والتي كانت السبب الرئيسي لاعتزاز المسلمين وشموخهم وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم، فعليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم، بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم وتاريخهم وكتابهم، وتحويلهم عن ذلك بنشر ثقافتكم وتاريخكم، ونشر روح الإباحية، وتوفير عوامل الهدم المعنوي، وحتى لو لم نجد المغفلين منهم، والسذج والبسطاء فإنه يكفينا ذلك، لأن الشجرة يجب أن يتسبب في قطعها أحد أغصانها.

---

(١) «اعترافات متأخرة» (ص٦٢).

فما على شباب الإسلام إلا أن يدركوا أبعاد المؤامرات التي تحاك لهم، ومنها هذا الداء الخطير، ويعلموا حكم تناول المخدرات، ولا خلاف بين العلماء على حرمة تناولها، وهي كبيرة من الذنوب يستحق مرتكبها العقاب في الدنيا والآخرة.

* * *



حكم تناول المخدرات



واسمع أيها الشاب يا من ابتليت بهذا الداء الفتاك إلى أدلة حرمة المخدرات والمسكرات:

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فكل طيب مباح وكل خبيث محرم، والمخدرات بمختلف أنواعها خبيثة من أخبث الخبائث وأعظمها ضرراً، فيكون تحريمها منصوصاً عليه في هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

قوله ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»[1].

قوله تعالى: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٩١)، وأبو داود (٣/ ٣٦٨١)، وهو في «صحيح الجامع» رقم (٥٥٣٠).

والتدخين انتحار بطيء وقتل للنفس.

ومما لا يخفي على عاقل - يا شباب - أن المدمنين على المخدرات بدءوا بعادة التدخين أولاً، وظن بعض الشباب أنها حرية شخصية وظن آخرون أنه مكروه، وعلى الرغم من خطورته وأضراره المتنوعة وتحريم العلماء له، وتحذير الأطباء منه، إلا أن كثيراً من الشباب لا يتورعون عن تعاطيه دون النظر في العواقب.

وإليكم يا شباب هذا الاعتراف من طبيب ابتُلي بشرب الدخان فترة من الزمن، يقول:

كنت أستنشق دخان السيجارة وأنا أعلم أن أكثر من ألف مادة كيميائية تصحبه، إنها مواد قاتلة يتشربها الدم وهو يجري في عروقنا ليصل إلى كل خلية في الجسم، من الرأس إلى القدم، كنت أشعر أن السيجارة التي أتناولها تضرني، تقتلني ببطء، إلى أن جاء اليوم الذي اكتشفت فيه أنني مصاب بالتهاب القصبة الهوائية المزمن، وشعرت بضيق في التنفس، فأقلعت عن التدخين، ولكن بعد أن دفعت ضريبة صحية لا تقدر بثمن مادي، لقد أدركت أنني كنت أعمل على تعطيل جهازي التنفسي كله، لذا أصبحت اليوم عدواً للتدخين.

وبعد هذا الاعتراف إليكم يا شباب حقائق عن التدخين[١] :

أولاً: التدخين يؤدي إلى الموت المبكر، جاء ذلك في دراسة لمنظمة الصحة العالمية نشرت في أستراليا جاء فيها: إن ما يقدر بنحو: ٥٠٠ مليون شخص يموتون بسبب التدخين خلال الخمسة والعشرين عامًا القادمة.

قلت: الأعمار بيد الله تعالى، ولكن تعددت الأسباب والموت واحد. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

ثانيًا: التدخين يؤدي إلى العجز الجنسي: فقد ركزت وسائل الإعلام الغربية مؤخرًا حول نتائج البحوث والتجارب الطبية عن علاقة التدخين بالعجز الجنسي.

ثالثًا: التدخين يؤدي إلى تشوه الجنين، جاء ذلك في تقرير لمنظمة الصحة العالمية نتيجة أبحاث وتجارب حول هذا الموضوع إذ قالت: إن تدخين المرأة الحامل قد يؤدي إلى تشويه الجنين قبل ولادته.

وقبل ذلك كله التدخين محرم للأدلة التي ذكرتها في تحريم المخدرات.

* * *

---

(١) «اعترافات متأخرة» (ص٥٥).



حكم شرب الدخان وبيعه



وقد سئل فضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله ـ: عن حكم شرب الدخان أو بيعه؟

قال ـ رحمه الله ـ:

شرب الدخان محرم، وكذلك بيعه وشراؤه وتأجير المحلات لمن يبيعه؛ لأن ذلك من التعاون على الإثم والعدوان ودليل تحريمه قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا** ﴾ [النساء: ٥] ووجه الدلالة من ذلك أن الله تعالى نهى عن أن نؤتي السفهاء أموالنا؛ لأن السفيه يتصرف فيها بما لا ينفع، وبيَّن سبحانه وتعالى أن هذه الأموال قيام للناس لمصالح دينهم ودنياهم، وصرفها في الدخان ليس من مصالح الدين ولا في مصالح الدنيا، فيكون صرفها في ذلك منافيًا لما جعله الله تعالى لعباده.

ومن أدلة تحريمه: قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ** ﴾ [النساء: ٢٩] ووجه الدلالة في الآية أنه قد ثبت في الطب أن شرب الدخان سبب لأمراض مستعصية تئول بصاحبها إلى الموت، مثل: السرطان، فيكون متناولها قد أتى سببًا لهلاكه.

ومن أدلة تحريمه: قوله تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا**

يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] ووجه الدلالة من هذه الآية أنه إذا كان الله قد نهىٰ عن الإسراف في المباحات وهو مجاوزة الحد فيها، فإن النهي عن صرف المال في أمر لا ينفع يكون من باب أولىٰ.

ومن أدلة تحريمه: نهي النبي ﷺ عن إضاعة المال، ولا شك أن صرف المال في شراء هذا الدخان إضاعة له، فالمال إذا صرف في ما لا فائدة منه فهذه إضاعة بلا شك.

وهناك أدلة أخرىٰ والعاقل يكفيه دليل واحد من كتاب الله أو من سنة رسوله ﷺ[١].

أيها المدخن: كيف تقلع عن التدخين؟

كثير من الشباب يرغب في الإقلاع عن التدخين ولكنه يجد صعوبة في البعد عن التدخين، وسنعرض عليه بعض الأمور التي تساعده علىٰ الإقلاع عن التدخين.

أولاً: اعلم أن التدخين حرمه الله، وأن شاربه مرتكب للإثم ومستحق للعقاب.

ثانيًا: استعن بالله تعالىٰ في الإقلاع عن التدخين.

ثالثًا: التدخين ضار بالصحة.

رابعًا: حاول أن تشغل وقتك في طاعة الله تعالىٰ وفي الأماكن التي لا

(١) «رسالة إلىٰ كل مدخن» (ص٢٨).

تستطيع فيها التدخين؛ كالمساجد ومجالس الصالحين والعلماء.

خامساً: الابتعاد عن رفقاء السوء.

وختاماً: أوصيك باللجوء إلى الله والتضرع إليه، فهذا من أكبر الأسباب التي تعين المرء على قضاء حوائجه، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ [البقرة: ١٨٦].

* * *



ذكر الأطباء والعلماء بعضًا من مضار المخدرات والخمور:

- أنها فساد في الدين والأخلاق.

- أنها فساد في الذرية.

- أنها تورث الذل والمهانة.

- أن الجهاز الهضمي يصاب بالنزلة المعوية الحادة، فيحصل فساد في الهضم وخمود في المعدة، والتهاب في الأمعاء.

- وفي الجهاز العصبي يصاب المخ باضطراب يكون منه الجنون السكري، والخوف، والخيالات المختلفة، والارتعاش، وفقد الإحساس، والشلل المحدود.

- أنها تؤدي إلىٰ نوبات إغماء متكررة، وقرحة المعدة، وسرطان المريء، وسرطان المعدة، والتهاب البنكرياس الدموي الحاد.

إن الأموال الباهظة التي ينفقها المتعاطي علىٰ شراء المخدر خسارة كبيرة علىٰ نفسه وعلىٰ أسرته ومجتمعه، فهو مستعد للتضحية حتىٰ بقوته الضروري الذي يقيم صلبه، وهو لا يحسن التصرف في ميزانية منزله، وهدفه الوحيد والمفضل هو شراء المخدرات بأي ثمن، مهما كانت حاجة الأسرة، فهو مستعد كذلك بأن يضحي بقوت أولاده

إرضاءً لغريزته[١] .

ومما يجدر الإشارة إليه، وهو سببٌ مهم في انحراف الشباب (الاختلاط) ولقد بينت آثاره ومساوئه في كتابي: «الفتيات إلىٰ أين» ولكن هنا أشير أن من أضراره ظهور ما يسمىٰ لنا بالزواج العرفي، ولا يخفىٰ علىٰ البصير أن هذا نتج بسبب الاختلاط بين الشباب والفتيات.

وقل لي بربِّك: ماذا ننتظر من جلوس طالبة، وهي متبرجة في زينتها بين طالبين؟ وناهيك عن التفنن في صنع الزينة، وتفصيل أعضاء الجسم مع ظهور بعضها، فضلاً عن اللمسات والهمسات، والنظرات الثاقبة من الفتىٰ والفتاة. . . فماذا تكون النتيجة؟

كانت الكارثة الكبرىٰ والطامة العظمىٰ، وهو ما يسمىٰ بالزواج العرفي وهو صورة من صور الزنىٰ.

ولم يقف هذا الأمر علىٰ الجامعات، بل وصل إلىٰ بنات الثانوية، بل للأسف وصل إلىٰ بنات الإعدادية، وهذه الفاحشة التي ضاع معها العرض، وأهدرت الكرامة، وطؤطئت الرءوس، ما حكمها؟

* * *

---

(١) «المخدرات والعقاقير النفسية» (ص٨٣).

هو عقد باطل، لأنه خلا من شروط النكاح المعتبرة لقوله ﷺ: «**لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل، وما كان على غير ذلك فهو باطل**»[1] .

ولقوله ﷺ: «**أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها، فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له**»[2] .

وعلى هذا يتبين لنا أن لصحة الزواج شروطًا معتبرة، وهي:

أولاً: موافقة الولي على النكاح، وهذا قول جمهور العلماء.

وأما حديث: «**الأيم أحق بنفسها من وليها**»[3] ليس فيه تصريح بأنها تتولى عقد نفسها، ولكن معناه أن لا يجوز للولي أن يجبرها على أن تتزوج ما تكره بل يأخذ إذنها[4] .

ثانيًا: الإشهاد على عقد النكاح مع الإعلان:

من شروط النكاح الإشهاد على عقد النكاح لحديث عمران بن

(١) رواه البيهقي (٧/ ١٢٥)، والدارقطني (٣/ ٢٢٢).

(٢) رواه أبو داود (٢٠٨٣)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٨٣٥).

(٣) رواه مسلم (١٤٢١)، وأبو داود (٢٠٩٨).

(٤) «المغني» (٩/ ٣٤٥-٣٤٦).

الحصين عن النبي ﷺ قال: «**لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل**» وذهب جمهور أهل العلم إلى اشتراط الشاهدين في عقد النكاح معللين ذلك بأنه عقد يحتاج إلى بينة كسائر العقود وذهب الإمام مالك إلى أنه إذا حصل إعلان النكاح فلا يشترط الإشهاد عليه بل يستحب وتبعه ابن تيمية، وقال: متى حصل إعلان النكاح وإظهار له صح، ولم يحتج إلى إشهاد.

وما قاله الإمام مالك جيد، أي: يكون مع الإشهاد الإعلان؛ لأن الإعلان أبلغ في اشتهار النكاح، ويؤيد هذا قوله ﷺ: «**أعلنوا النكاح**»[1].

ولأن نكاح السر يخشى منه المفسدة حتى ولو كان بالشهود؛ لأنه يمكن أن يزني رجلٌ بامرأة ثم يقول: تزوجتها، ثم يأتي بشاهدي زور يشهدان.

ولكن في هذه الأيام يتأكد الإشهاد لحفظ الحقوق، وهو من مستلزمات عقد النكاح، والله أعلم.

أيها الشباب: احذروا هذا الزواج الذي يتم بلا شهود أو ولي أو إشهار فهو زنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سؤال أوجهه إلى الشباب: هل ترضى لأحد ممن يريد الزواج العرفي أن يفعل ذلك مع ابنتك أو أختك؟ بالطبع أنت لا توافق على ذلك، فلماذا ترضاه لنفسك؟ ألا تخشى أن تنتهك محارمك، كما انتهكت

---

(١) رواه البخاري (١٠٨٩).

محارم الناس؟

وقد ظهر نوع آخر من صور الزواج العرفي وهو زواج الدم وفكرته جاءت من خلال فيلم أجنبي عُرض على شاشات التلفاز، حيث يقوم الشاب بتناول سكينًا حادًا ويجرح إصبعه، ويجرح إصبع من يريد أن يتزوجها، ثم يقوما بخلط دمائهما، ويقول لها: إننا أصبحنا زوجين بالدم فلن يفرقنا إلا الموت.

كان هذا حصاد الاختلاط ومشاهدة التلفاز، والدش، وقنوات الفضاء، التي ملئت بالأحضان، والقبلات، والمشاهد الخليعة، فكانت سببًا في إشعال نار الفتنة والشهوة.

وإليكم أيها الشباب اعترافاتهم:

قالت طالبة في كلية الحقوق: ارتبطت بأحد أصدقائي بالجامعة، وأفهمني منذ البداية أن ما سوف يكون بيننا لن يتعدى الصداقة(!!) واستمرت العلاقة بيننا، وأحس كل منا أنه يريد أن يقترب من الآخر أكثر، وعرض عليَّ أن نتزوج زواجًا عرفيًّا، والغريب أنني استسلمت له دون أي اعتراض، وفعلنا ذلك، وكنت أحاول أن أقنع نفسي بأنني أصبحت زوجة لهذا الشاب، ولكن مع مرور الأيام، شعرت بالذنب، وتعذيب الضمير أقول هذه الكلمات ودموعي تنساب على وجهي ندمًا على ما فعلت، وما آل إليه أمري.

وإني وأنا في هذا العذاب أنصح كل فتاة أن تبتعد عن لعبة الزواج العرفي، لأنها من أخطر الأمراض التي تدمر حياة المرأة.

مسئولية من؟

هل غياب التوعية والإرشاد الديني؟ أو عدم سيطرة الأسرة والمجتمع على الشباب؟ أو أن الشباب نفسه لا يعرف عن دينه شيئًا؟ أو المدارس التي لا تربي أو تهذب؟ أو الجامعات التي ملئت بالطلاب والطالبات في وسط جو فاسد؟

ويخطئ الذين يحملون الشباب وحدهم المسئولية، بل إن المسئولية مشتركة بين كل ما ذكرنا، فكل يتحمل قسطًا من المسئولية، وأشير إلى وسيلة لها دور كبير في تشجيع هذه الظاهرة، وهو الإعلام من خلال الأفلام والمسلسلات والمجلات الهابطة، حيث إن معظمها يركز على تلك العلاقة المحرمة التي تكون بين الرجل والمرأة والتي يسمونها (الحب) فتصور تلك الوسائل أن هذه العلاقة هي كل شيء في الحياة، وأن الفتاة لابد أن يكون لها عشيق تخلو به، وتحادثه، وتبادله عبارات الغزل والغرام، لذا نجد أن الفتى والفتاة يتأثران بتلك الأعمال، ويلهث كل واحد منهما لإقامة علاقة مع الطرف الآخر.

وهناك عدة حلول لمواجهة المشكلة[1]:

أولاً: منع الاختلاط في أماكن التعليم، كالمدارس والجامعات والدروس الخصوصية، ولا يخفى على أي عاقل صرف طاقات الفتيات إلى الحب والمعاكسات، ورسائل الغرام، بحجة صداقة بريئة، والنتيجة

---

(١) انظر «الفتيات إلى أين» (ص٢٠).

هدم للأخلاق، وهبوط مستوى التعليم.

وهذا المنع كان من هدي النبي ﷺ حفاظًا على الرجل والمرأة، ومن باب درء الفتنة، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها**»[1].

وعن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «**كان يسلم فينصرف النساء، فيدخلن بيوتهن من قبل أن ينصرف رسول الله ﷺ**»[2].

انظر أخي الشاب:

إلى حرص النبي ﷺ ألا يختلط الرجال بالنساء، وهم في العبادة مع بُعد الشيطان، وأعوانه منهم، فمن باب أولى في غير العبادة.

ثانيًا: منع الاختلاط في الوظائف، والأسواق، والأفراح، والزيارات.

ثالثًا: منع الخلوة بين الجنسين، حتى ولو كانت مؤقتة وخاصة في أماكن العمل، أو المستشفيات، أو النوادي، أو السيارات.

رابعًا: الرقابة الصارمة على برامج التلفاز ودور السينما، فهما أشبه بالسكين وهي سلاح ذو حدين، ولكن الذي يعمل هو الحد المدمر فيها،

---

(١) رواه مسلم (٤٤٠).

(٢) رواه البخاري (٨٥٠) (٢/ ٣٣٤).

ولا ينبغي أن نقف موقف المتفرج، بل لابد من دراسة متخصصة، ومعالجة فعالة لنسقط من خريطة التلفاز الأفلام والمسلسلات التي تدعو إلى الخلاعة، والجنس، والحب والغرام، ونضع بديلاً لها كالبرامج الدينية والعلمية التي تدعو إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق، بل على الأقل نحاول تقليل الأضرار حسب الاستطاعة والله تعالى يقول: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

خامسًا: تعليم الشباب أمر دينه قبل أمر دنياه، وإعادة النظر في المواد التعليمية التي يدرسها، وإعطاء علوم الدين الأولوية في الدراسة، وجعلها مادة رسوب ونجاح، حتى ترسخ مفاهيم الإسلام في عقول الشباب.

سادسًا: الزواج المبكر هنا ضرورة، باعتباره السبيل الوحيد لتكوين الأسرة التي تحقق للإنسان إشباع فطرته وحاجاته النفسية.

ومن نافلة القول:

أنبه على أمر قد يكون سببًا في ظاهرة العزوبة في شباب المسلمين وبالتالي أدى إلى الزواج العرفي، وهو مغالاة المهور.

فكم من فتاة عانس، فاتها الزواج، وتركها الخُطاب بسبب أن والدها لم يرض باليسير من المهر، وجعل ابنته سلعة تجارية، يساوم عليها.

هل هذا الأب يعمل لمصلحة ابنته؟ كلا والله. بل ولا مستقبلها، وكان هذا أيضًا عقبة من عقبات الشباب في طريق الزواج.

واسمعوا إلى هذا الاعتراف من فتاة بلغت الأربعين تقول:

«مثل أي فتاة، أستقبل بآمال الربيع وخيالاته سنوات الجامعة، ومثل أي فتاة، كان قلبي ينبض فرحًا خلال تلك السنوات كلما طرق دارنا طارق يطلب يدي للزواج، وفي كل مرة يدخل أبي ـ رحمه الله ـ متجهم الوجه ليقول لي جملة حفظتها من كثرة ما يرددها: إنه رجل طيب ولكنه فقير! فكان ينظر إلى جيب الخاطب قبل أن ينظر إلى قلب ابنته.

ومضت السنوات وتقدمت بي السن، ودخلت طور العنوسة باكية على نفسي وعمري الذي ضاع أمام اعتبارات لا يقرها الشرع، وظللت ألعق الجراح إلى الآن».

لذلك ينبغي على أولياء الأمور أن يفهموا أن الزواج ليس بيعًا وشراء، إنما هو اقتران شخصين في ظل الإسلام، لتكوين بيت إسلامي، ويحافظ على الشباب من نزواته وشهواته التي تؤدي إلى السلوك غير الشرعي للزواج، وعلى هذا لا حاجة إلى المغالاة في المهور، ولا الإسراف في متطلبات الجهاز.

وختامًا أنصح الشباب إذا تعذر عليه الزواج:

١ ـ الأخذ بالاستعفاف، وضبط النفس، ومنعها من الوقوع في المحرمات قال تعالى: **﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾** [النور: ٣٣].

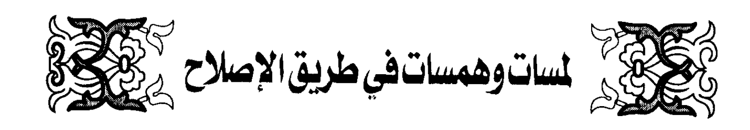
٢ ـ عليهم بالصوم فهو وسيلة للاستعفاف، لحديث ابن مسعود ـ

رضي الله عنه ـ: كنا مع النبي ﷺ لا نجد شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[1].

٣ ـ الابتعاد عما يثير الشهوة كالاختلاط المحرم بين الرجال والنساء.

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري (٩/ ١٠٦)، ومسلم (٩/ ١٧٢).



أوجه هذه الهمسات إلىٰ أذن شبابنا الواعي علىٰ أمل أن يكون شبابًا يتحمل المسئولية ويؤدي الأمانة، ويكون أقوىٰ علىٰ التزام مبادئ الإسلام فلا يستكين، ولا يضعف، ولا تزعزعه الفتن، ولا يستسلم لإغراء الفساد، ولا يصيبه يأس أو قنوط.

وهكذا يبقىٰ الشباب ثابتًا راسخًا مؤمنًا مجاهدًا في حمل الرسالة.

أول هذه اللمسات في طريق البناء:

الشباب وطلب العلم

لا خلاص في هذا العصر المليء بالمغريات والشهوات إلا بالإقبال علىٰ طلب العلم فبه يتعلم المرء ما يجب أن يقوم به من أمور التكليف، سواء كان في الاعتقاد، أو في العبادات، نعم يا شباب، إن من نعمة الله عليكم أن تتوجهوا إلىٰ حلقات العلم، فبالعلم يعبد المسلم ربه علىٰ بصيرة، وبالعلم تتهذب أخلاقه، وبالعلم يستطيع رد الوساوس والشكوك، فصاحب العلم في مأمن، مستقر في أحواله، قدوة في كلامه، وقدوة في لباسه، وقدوة في جميع شئونه.

ومن المؤسف أن الشباب بعد أن يعرف طريق الحق، ويسلك سبيل

الرشاد، يجهل ما لا يسع المرء جهله من أمور الدين، وهو ما يسمىٰ بـ «فروض العين».

فمنهم من عزف عن طلب العلم، ورضوا بالكسل عنوانًا لحياتهم، وأعرضوا عن الأخذ من معين الكتاب والسنة، الأمر الذي مهد لغزوهم فكريًّا، وإدخال الشبهات والشكوك في دينهم، ومن المعلوم أن أعداءنا قد تحزبوا؛ ليرمونا عن قوس واحدة.

ولو كان سهمًا واحدًا لاتقيته ولكنه سهم وثانٍ وثالث

وجماعة منهم تفرغوا لمتابعة الجرائد والمجلات وأخبار الحوادث، واهتمام بمعرفة الواقع، وأحيانًا نرىٰ شبابًا من هؤلاء جاهلاً باليسير من الأحكام الشرعية، ثم أخذ يعالج قضايا المسلمين دون الرجوع إلىٰ العلماء، فهذا لا يعرف قدر خسارته إلا فيما بعد.

ومنهم من يجد ويجتهد أثناء دراسته همته عالية، طموحاته مختلفة همه أن يُفرغ ما حصّل في ورقات الامتحان، ثم إذا خرج من قاعة الامتحانات، ليس له رصيد مما حصله.

ومنهم من اشترىٰ كتبًا دون مطالعة ومدارسة، وما علم أن الداعي من تأليف الكتب، هو شحذ الهمم، والتعريف بسير العلماء في صبرهم، وتحصيلهم للعلم؛ ليسير كما ساروا، ويتشبه بالقوم، وإن لم يكن مثلهم.

وبعضهم من قنع بدنيا زائلة، وحياة فانية، لا هو اشترىٰ كتبًا، ولا ذهب إلىٰ مجالس العلم، استلذ بالمطاعم، واستحب النوم، واكتفىٰ

بصلوات خمس، وإقامة بعض الشعائر، ونسي أن أمته بحاجة ملحة إلى طلاب علم، يبصرون الناس بدينهم، ويردون أهل الباطل عن زيفهم.

من يطلب المعالي؟

نعم يا شباب من يطلب المعالي؟ لأن العلم أشرف مطلوب وأعز مرغوب، وأفضل ما طلب، وسعى في تحصيله الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب، وليس يجهل فضل العلم إلا أهل الجهل.

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... وأرواحهم في وحشة من جسومهم
وأجسامهم قبل القبور قبور ... وليس لهم حتى النشور نشور

يا شباب، اعلموا أن العلم لا ينال براحة الجسد، كما قال يحيى بن كثير في صحيح مسلم قولته الصادقة: لا يستطاع هذا العلم براحة الجسد.

لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

أخي الكريم:

حرصك على طلب العلم وأخذه، والسعي إليه، والعمل به وتبليغه للناس، هذا مما يعظم الأجر والثواب، فإذا صلحت نيتك وارتفعت همتك، ولم ترض من الأشياء إلا أعلاها وأفضلها، فنفسك شريفة، وأما إذا فسدت نيتك وقلت همتك، ورضيت من الأشياء بأدناها فنفسك دنيئة تحوم حول الدناءات:

بقدر الكد تكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلاً ... يغوص البحر من طلب اللآلي

فالناس متفاوتون في مطالبهم وأهدافهم، فمن الناس من يطلب المعالي، ومن الناس من لا يطلب إلا سفاسف الأمور.

وقد وضع الإمام الشافعي - رحمه الله - للعلماء منازلهم حين قال: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تعلم الفقه نبل مقداره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن تعلم العربية رق طبعه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه[١].

ولقد بين الإمام الشافعي أشرف المنازل وأحسنها هدفًا، وهو كتاب الله تعالى فهو شفاء الصدور، والحكم العدل عند مشتبهات الأمور.

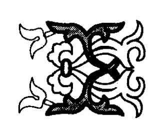
قال الإمام النووي: وأول ما يبتدأ به حفظ القرآن الكريم فهو أهم العلوم وكان السلف لا يعلمون الحديث والفقه إلا لمن حفظ القرآن الكريم ثم يبدأ بالأهم فالمهم[٢].

❊ ❊ ❊

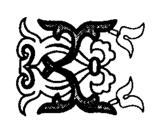
---

(١) «الإحياء» (١/ ٣٢٣).

(٢) «المجموع» (١/ ٢٨).



حـــوارونصيحـــة



أخي الشاب وعودة مرة أخرىٰ إلىٰ الحوار بعد أن وُفقت إلىٰ الهداية، أقول: لعلك عرفت ما أريد أن أقول، ففي نفسي إليك حاجات كثيرة، أرىٰ أن أعرضها عليك، فأقول لك معاتبًا:

أظهر دليل ولائك لله.

قال: وكيف ذلك؟

قلت: كلٌّ علىٰ حسب طاقته.

فقال مبادرًا: أنا مشغول.

قلت: وما الذي أشغلك عن طلب علم دينك؟

قال: وهل شغلنا إلا الدنيا.

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي

ويسلبه الموت أثوابه ويمنعه الموت ما يشتهي

تموت مع المرء حاجاته ويبقى له حاجة ما بقي

ثم قال: يا أخي نحن مقصرون.

قلت: نعم فمن منا قد سلم من التقصير، ولكن دعني أسألك بل أعاتب نفسي وأعاتبك.

قال: اسأل ما تريد.

قلت: وإلى متى يستمر التقصير، نحن يا أخي إلى الدنيا مسارعون، انظر إلى الناس في الصباح وهم مبادرون إلى أعمالهم، وانظر إلى مجالس العلماء في المساء تعرف ما أريد أن أقول.

قال: تقصد أن أقضي وقتي في طلب العلم؟

قلت: بالضبط هذا ما أريد.

قال: أين أطلب العلم؟ قلت: بملازمة دروس العلماء وحضور حلقات طلاب العلم الموثوق في علمهم وعملهم.

قال: هذا صعب يحتاج مني ذهابًا وإيابًا وغدوًّا ورواحًا، وذلك ما لا أطيق.

ثم قال: الوقت ضيق والشغل يرهقني وعندي زوجة وعيال، وأيضًا زيارات، والوقت لا بركة فيه.

نعيب زماننا والعيب فينا   وما لزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب   ولو نطق الزمان بنا هجانا

قلت: سأسهل عليك المهمة، ابحث عن طالب علم قريب لك وتقترب منه وتأخذ من علمه وأدبه.

قال: همتي لا ترتقي إلى ذلك.

قلت: يوجد مكاتب إسلامية فيها كثير من الأشرطة العلمية تساعد في طلب العلم.

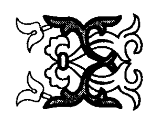
قال: هذا ما أفكر فيه، ولكن ما عندي صبر على السماع.

قلت له: كم كتابًا تقرأ؟

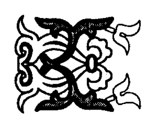
قال: لعل الشهر يمر ولم أختم القرآن.

أخي الشاب لي لقاء معك بعدما أعرض عليك طرفًا من حال سلف الأمة في علو همتهم، فهيا معي لمطالعة أحوالهم والاقتداء بهديهم، والسير على سنتهم.

❊ ❊ ❊



همم عالية



لقد كان السلف أصحاب همة عالية يصبرون على مشقة السفر ومخاطر الطريق. وإليك أخي الشاب هذا النموذج.

حبر الأمة وإمام التفسير ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يقول:

لما توفي رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلمّ نسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير.

فقال: واعجبًا لك يا بن عباس! أترى الناس يحتاجون إليك ومن الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى؟!

فترك ذلك، وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل[1]، فأتوسد ردائي على بابه، فتسفي الريح عليّ التراب، فيخرج فيراني، فيقول: يا بن عم رسول الله، ألا أرسلت إليّ فآتيك؟

فأقول: أنا أحق أن آتيك فأسألك.

قال: فوعى الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس عليّ، فقال هذا الفتي أعقل مني[2].

---

(١) قائل: نائم في وقت الظهيرة.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٤١).

يا شباب انظروا كيف يضحي براحته والنوم في بيته، لا صعوبة تمنعه من لقاء العلماء.

فكن رجـلاً عـلى العليـاء جلدًا ... وشـيـمـتك الـتـصـبـر....

فـقل من جـدَّ فـي أمـر يحـاوله ... واستـصحب الصبر إلا فـاز بالظفر

كم حـاجـة بمكان النجم قـربهـا ... طول التـردد في الروحـات والبكر

وذكر الإمام أبو علي البلخي عن رحلته في طلب العلم فقال:

لقد كنت بعسقلان أطلب العلم فقلَّت نفقتي وبقيت أيامًا بلا أكل، فذهبت لأكتب، فعجزت عن الكتابة لما بي من الجوع، فكنت أذهب إلى دكان خباز وأقعد بقربه وأشمُّ رائحة الخبز وأتقوى بها! ثم يسَّر لي مالاً[1].

انظر أخي الشاب، كيف ضحى بشهوة البطن في سبيل غذاء الفكر وكيف نحن اليوم في ظل رغد العيش.

قال ابن المديني: قيل للشعبي: من أين لك هذا العلم كله؟

قال: بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الحمار، وبكور كبكور الغراب[2].

انظر أخي الكريم لهؤلاء، ما أمضى عزائمهم! وما أشد جلدهم! وشوقهم وطلبهم للعلم لوجه الله، طافوا الدنيا لتحصيل العلم، يوم لم

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١١٧٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٠٠).

يكن هناك طائرة ولا قطار ولا سيارة ولا باخرة.

أين شباب الأمة اليوم وطلب العلم في حياتهم.

إذا رأيت شباب الحي قد نشئوا لا ينقلون قلال الحبر والورقا
ولا تراهم لدى الأشياخ في حلق يعون من صالح الأخبار ما اتسقا
فذرهم عنك واعلم أنهم همج قد بدلوا بعلو الهمة الحمقا

يا شباب، لقد توفرت دواعي العلم ما لم تتوفر في زمن من الأزمان، فقد انفتحت وسائل التعليم، وكثرت الكتب، وأخرج ما فيها من علوم شتى، وتوفرت وسائل الاتصال والسماع والمواصلات، ومهدت الطرق، وتقاربت البلدان، ولكن ماتت الهمم، وضعفت العزائم، والله المستعان.

فيا شباب هيا، تنافسوا إلى طلب المعالي! وتسابقوا إلى جنة عرضها السموات والأرض! واختاروا لأنفسكم طريقًا موصلاً للجنة! فمن منكم ينتدب نفسه لهذه المهمة التي قال فيها بعض السلف: من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معًا فعليه بالعلم.

زاحم بكتفيك واثن ركبتيك عند مجالس العلماء! ولا تؤجل فإن مرور الزمن ليس من صالحك! وواجه الحقائق وأبصر موقع قدمك! ولا تغرنك الأماني! فلابد من تضحية حين تسنح الفرصة لك.

إن أمتك المسلمة تنتظر منك همتك، تزيل غفلتها، وترقب منك صيحة تعيد ماضيها، وعلى قدر إخلاصك يأتيك من الله العون.

عودة إلى الحوار:

أخي الشاب: بعدما مرّ عليك أحوال سلفك، وعرفت علو هتمهم في طلب العلم، فمتىٰ تقوىٰ عزيمتك، وترتفع همتك، ويزداد إيمانك لتُرضي ربك، وتقبل علىٰ طلب علم دينك؟

قال: امدد يدك.

قلت: تريد أن تنصرف.

قال: لا، بل وعد لن أغيره، وعهد لن أخلفه.

قلت: وماذا تريد؟

قال: أبذل قصارىٰ جهدي في طلب العلم.

ولما كان طلب العلم تهوىٰ إليه النفوس وتشتاق إليه قلوب الشباب، لا شكَّ أن بعض الشباب سيتساءل عن الطريق الأمثل لطلب العلم.

فمنهم من يقول: كيف أحفظ القرآن؟

ومنهم من يقول: بأي علم أبدأ؟

ومنهم من يقول: كيف أحفظ المتون؟

وهذا ليس موضع البسط في هذه المسألة.

ولكن أبين لك أخي الشاب في عجالةٍ سريعة نقاطًا مهمة تعينك علىٰ حفظ الدروس واستذكارها بصورة جيدة:

١ ـ إخلاص النيّة لله عز وجل.

٢ ـ اجتناب المحرمات، والمنهيات.

٣ ـ تطيب الكسب، وأكل الحلال.

٤ ـ الحرص على حضور حلقات العلم.

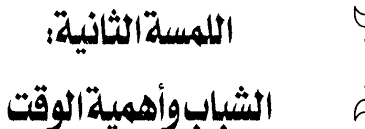
٥ ـ الإنصات وعدم الانشغال.

٦ ـ الاكتساب من خلق الشيخ واحترامه وتوقيره.

٧ ـ الحذر من اليأس، فإنه بداية الفشل، فإذا أصابك اليأس، استعن بالله بما آتاك الله من قوة الذهن حتى تستطيع التحصيل والاستذكار.

وختامًا بادروا يا شباب بطلب العلم في هذا الوقت من العمر! وقت القوة، والعزيمة، والهمة.

* * *


اللمسة الثانية: الشباب وأهمية الوقت

إن الزمن نعمة عظمىٰ ومنحة من الله كبرىٰ، لا يدريها ولا يستفيد منها إلا القليل، كما أشار إلىٰ ذلك قوله ﷺ: **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ»**(١).

ولما كان الوقت سريع الانقضاء يمر مر السحاب ويجري جري الريح، وكان ما مضىٰ منه لا يرجع ولا يعوض بشيء، وكل لحظة تمر ليس في الإمكان استعادتها، وهذا ما عبر عنه الحسن البصري ـ رحمه الله ـ ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا بن آدم أنا خلق جديد، وعلىٰ عملك شهيد، فتزود مني فإني إذا مضيت لا أعود إلىٰ يوم القيامة(٢).

فإن الوقت أنفس وأغلىٰ ما يملكه الإنسان، وترجع نفاسة الوقت إلىٰ أنه رأس مال الإنسان وفي هذا قال الحسن البصري: يا بن آدم، إنما أنت أيام مجموعة، كلما ذهب يوم ذهب بعضك.

ولكن جهل كثير من الشباب هذه النعمة فأضاعوا أوقاتهم، حتىٰ

---

(١) رواه البخاري.

(٢) «حلية الأولياء» (٢/ ١٤٧).

فاقت حد التبذير، فتراهم يضيعون الساعات الطوال من ليل أو نهار لاهين عن ذكر الله، وعن الصلاة.

لذلك ينبغي أن يعلم الشباب قيمة الوقت وأنه أغلى ما يملكه الإنسان.

أتعرفون - يا شباب - أهمية الوقت؟ يكفي يا شباب أن الله أقسم في مطالع سور عديدة من القرآن بأجزاء معينة من الوقت، مثل: الليل والنهار والفجر والضحى والعصر.

ومن المعروف لدى المفسرين أن الله إذا أقسم بشيء خلقه فذلك ليلفت أنظارهم إليه، وينبههم على جليل منفعته وآثاره.

وقد جاءت السنة تؤكد قيمة الوقت وأهميته، وأن الوقت هو حياة الإنسان.

قال رسول الله ﷺ **«اغتنم خمسًا قبل خمس - وذكر منها - حياتك قبل موتك»**[١].

وتتأكد قيمة الوقت - يا شباب - حين يقف الإنسان أمام ربه يوم القيامة.

فعن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: **«لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع خصال - ومنها اثنتان تخص الوقت - عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه»**[٢].

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» وهو في «صحيح الجامع» (١٠٧٧).

(٢) رواه البزار والطبراني.

لماذا يا شباب يُسأل الإنسان عن عمره عامة ثم يخصص الشباب؟

لأن فترة الشباب متميزة في عمر الإنسان بالحيوية والنشاط، والعزيمة والقوة.

اسمعوا يا شباب ما قال أحد السلف عن أهمية الوقت.

قال ابن هبيرة:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع

نعم يا شباب هو أغلى شيء وأسهل شيء في الضياع، ولذلك قالوا في المثل: الوقت أغلى من الذهب، ولكن الوقت لا يقدر بثمن لكن أغلى من ذلك، وفي هذا قال يحيى بن معاذ الرازي: الفوت ـ وهو ضياع الوقت ـ أشد من الموت لأن الفوت انقطاع عن الحق، والموت انقطاع عن الخلق.

فالموت يقطعك عن الدنيا وأهلها، أما الفوت فإنه يقطعك عن الله وعن الدار الآخرة.

قال رجل لداود الطائي: أوصني فدمعت عيناه وقال: يا أخي إنما الليل والنهار مراحل، ينزلها الناس مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهي ذلك إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم كل يوم زاداً لما بين يديك فافعل لنفسك، واقض ما أنت قاض[1].

نعم يا شباب كانوا أحرص على الوقت لأنهم كانوا أعرف الناس

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص٤٦٣).

بقيمته .

يقول الحسن البصري : أدركت أقوامًا كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصًا على دراهمكم ودنانيركم .

الله أكبر - يا شباب - ما بالكم لو رأى أقوامًا في هذا الزمان يجلسون الساعات الطوال من ليل أو نهار حول مائدة النرد ، أو رقعة شطرنج ، أو لعبة ورق ، أو في المسارح ، أو في مشاهدة مباريات كرة القدم التي أصبحت عبادة قلَّ من ينجو من أسرها .

أوقات مهدرة:

يا شباب: من الشقاء ألا يوفق المرء في اغتنام الأوقات ، بل يضيع وقته بل عمره وهو يضحك ، ويا عجبًا يضيع منك درهم فتبكى ، وقد ضاع عمرك وأنت تضحك .

أخي الحبيب:

احرص على ألا يمر يوم أو بعض يوم دون أن تتزود بعلم نافع ، أو عمل صالح ، أو إسداء نفع إلى الغير حتى لا يذهب عمرك هباءً منثوراً .

قال تعالى : **﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** [النساء: ١١٤] .

إننا نسمع كثيراً عن شباب يشكون من ضيق الوقت ، ويتعللون بذلك على عدم حفظهم للقرآن ، وآخرين يشكون من عدم ترتيبهم للوقت ،

وآخرين يشكون من قلة الحفظ .

والسبب في ذلك أن هناك أوقاتًا مهدرة لا تعود عليه بالنفع والاستفادة منها ولكنني أدلك على كيفية الاستفادة منها :

١ ـ الزيارات:

والشباب فيها بين إفراط وتفريط ، فالزيارات بيننا تدل على تقوية أواصر المحبة والأخوة بين المسلمين ، وخاصة صلة الأرحام ، ولا شك أنها تزيد العبد إيمانًا بربه كلما اقترب من إخوانه .

لكن غالبًا تكون هذه المجالس عارية من الفائدة العلمية ومن التناصح ، ويغلب عليها الثرثرة ، والاستهزاء والاحتقار ، والغيبة ، وفي هذه الحالة تركها يكون هو الواجب عليك .

فمن الشباب من تراه ذاهبًا صباح مساء عند فلان فإذا انتهى من جلسته عند فلان انتقل عند الآخر ، وإذا سألته لماذا تفعل هكذا يا فلان؟ قال أزور إخواني في الله ، وكان يكفيه أن يزورهم في كل شهر ، وإذا اضطره الأمر فليكن كل أسبوع ، لأن هذه الزيارات جزء من حياته ، فإذا ضاعت ضاعت حياته .

وأقول لكم يا شباب : لو أننا أخذنا بأقل القليل وقلنا : هذه الزيارة ، ربما تكون مدتها ساعة ونصف ، فإذا كنتم تجتمعون في كل يوم مرة فقل في كل أسبوع عشر ساعات على الأقل ، فلو أنكم جعلتم نصفها في قراءة قرآن أو علم لحصلتم شيئًا نفعكم الله به يوم القيامة .

إن بعض الشباب يناقض نفسه، فتراه مدمنًا كثرة الخروج من منزله، فإذا سمعت أسئلته عجبت منه، يسأل سؤالاً علمت أنه لم يحضر درس علم، وإذا حضر لم يعط للدرس أية أهمية، وإن كان عنده كتب لم يقرأ هذه الكتب بل ربما لا يعرف أسماء مؤلفيها.

إذن هذه الزيارات ذهبت أدراج الرياح.

٢ ـ الشريط الإسلامي:

من نعم الله علينا توفر الشريط الإسلامي، والله لو علم الشباب هذه النعمة لشكروا الله ـ تعالىٰ ـ عليها لما فيها من الفائدة العظيمة، والنفع الكبير، لكن كثيراً من الشباب فرَّط فيها، وحُرم من خير كثير.

أليس من نعمة الله عليكم ـ يا شباب ـ أن يكون العلم أو القرآن معكم في كل مكان في البيت والشارع والسيارة، بل وأنت نائم في فراشك، بل وأنت تجلس علىٰ مائدة الطعام؟

وحدثني بعض الشباب أن الأشرطة كانت سببًا في حفظه للقرآن بعد تلقيه علىٰ الشيخ، فقد كان يستمع إلىٰ قراءة الشيخ الحذيفي سنة كاملة، كلما انتهىٰ من شريط أعاده، حتىٰ أصبح حافظًا لكتاب الله تعالىٰ.

أخي الحبيب:

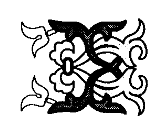
رتب وقتك، وحافظ عليه، واجعل جزءاً منه لسماع الشريط، وأحسن الاختيار فيما تسمعه، وإذا لم تفهم ما في الشريط لا مانع من إعادته مرة ومرتين حتىٰ تحصل الفائدة، وعلىٰ قدر حرصك وإخلاصك

سيأتيك من الله العون.

إخواني الشباب: إذا أردتم أن تعرفوا قدر الوقت المهدر، فانظروا في أوقات فراغكم! كم تسمعوا خلاله من شريط؟ فإذا كان مدة الشريط ساعة أو ساعة ونصف، فهذه أوقات تهدر لا يفطن لها الواحد منا.

إن من العقوبة إذا كان المجلس معموراً بالقيل والقال والكلام المباح ثم قال قائل: أعطونا كتابًا أو نريد أن نسمع شريطًا تضايق البعض، وهذا من الحرمان، وعقوبة ارتكاب الذنب.

* * *



اغتنم فراغك



كم من الشباب من يريد أن يتخلص من الفراغ، فترى أن ليس لهؤلاء هدف في حياتهم، لذا تجد أن مجالسهم نكت وطرف ولعب فهؤلاء قلبوا نعمة الفراغ إلى نقمة.

ويشتد خطر الفراغ إذا اجتمع مع الفراغ الشباب الذي يتميز بالقوة والحيوية.

ومن العبارات التي تدور على ألسنة الشباب في هذا الزمان عبارة (قتل الوقت) أي: يريدون أن يتخلصوا من الفراغ فيضيعون أوقاتهم.

وما يدري هؤلاء المساكين أنَّ من قتل وقته فقد ضيع عمره، والنبي ﷺ يقول: «**اغتنم خمسًا قبل خمس،: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»[1].

ومن جهل قيمة الوقت، وضيع فراغه فسيعرف قيمة هذا الوقت حينما يأتيه ملك الموت، يتمنى الرجعة إلى هذه الدنيا ليصلح ما أفسده ويتدارك ما فات، ولكن هيهات ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [الأعراف: ٣٤]

فقد انتهى زمن العمل وجاء وقت الجزاء.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك».

يا شباب أدعوكم لتحكموا، وبمنطق العقل تفكروا، إذا رأيتم رجلاً يرمي أمواله هنا وهناك عجبت منه وقلت: أفي هذا عقل؟ فكذلك الذين يضيعون أوقاتهم أشد سفهًا من هذا الرجل؛ لأن المال إذا ضاع يعوض، أما الوقت إذا ضاع فلا عوض له.

يقول ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعًا عجيبًا إن طال الليل فبحديث لا ينفع، أو يقرأ كتابًا فيه غزل وسمر، وإن طال النهار فبالنوم وهم على أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق. اهـ.

وها هو ابن الجوزي يشرح حالنا ويصور واقعنا، فقد وُجد من الشباب من يضيع الوقت، بل يبحث عن إضاعة الوقت، فجماعة منهم همهم قراءة الصحف يقرأ أكثر من صحيفة بلا غرض وبلا هدف، فإذا انتهى من الجرائد، ذهب إلى المجلات الهابطة، ثم إذا انتهى من المجلات، بدأ يتتبع الأخبار والتحليلات في كل إذاعة بلا فائدة تعود عليه، فإذا سألت هؤلاء في كم تختمون القرآن؟ قالوا: لعل العام يمر ولم نقرأ القرآن.

وجماعة منهم يضيعون أوقاتهم أمام التلفاز وقنوات الفضاء، يقضي ليله في النظر إلى الحرام، وربنا ينزل في الثلث الأخير من الليل، فيقول: «**هل من داع فأستجيب له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟**».

قلت: سبحان الله، أفي هذا يضيع العمر، في أمور تافهات من لهو ولعب وارتكاب معاصٍ.

سلاح ذو حدين:

إن مرحلة الشباب سلاح ذو حدين، إما أن تكون مرحلة استقامة وإصلاح وبناء وتعمير، فتحمل في طياتها عناصر الخير.

وإما أن تكون مرحلة تحمل في طياتها كل شر بأن ينغمس الشباب في الرذائل ويغرق في الشهوات والملذات.

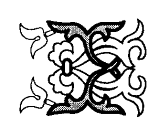
أخي الحبيب:

لا يغرك شبابك وصحتك وقوتك، فكم من شاب قريب لك سمعت خبره، وأتاك نعيه، وكم من مريض سقيم طال عمره.

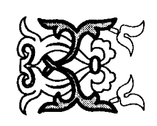
اسمع إلى هذه النصيحة من الفضيل بن عياض: تفكروا واعملوا من قبل أن تندموا، ولا تغتروا بالدنيا، فإن صحيحها سقيم، وجديدها يبلى، ونعيمها يفنى، وشبابها يهرم.

اعلم أيها الشاب:

كلما كبرت سنك، كبرت مسئولياتك وزادت مشاغلك، وضاقت أوقاتك، يظن البعض أنه سيتفرغ في حال كبره، فالواقع يكذب ذلك، واسأل أجدادك فسيخبرونك خبر من بلغ ذلك وعرفه، إن الوقت في الكبر أضيق، والجسم أضعف، والمشاغل أكثر، فبادر أخي الشاب واغتنم ساعات عمرك، فالعمل والجد والقوة والمجد ونيل المطالب، إنما هو في الشباب.



آفات قاتلة للوقت



لابد يا شباب أن تعرفوا هذه الآفات التي تضيع على الإنسان وقته، وتأكل عمره.

١ ـ التسويف:

التسويف: هو تأجيل عمل اليوم إلى الغد، وهو مدخل من مداخل الشيطان القوية يا شباب، وهي من أشد الآفات خطراً على انتفاع الإنسان بيومه وحاضره، وانظروا يا شباب إلى ما قاله الحسن البصري محذراً من التسويف:

قال: إياك والتسويف، فإنك بيومك، ولست بغدك، فإن يكن غد لك، فكن في غد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن لك غد لم تندم على ما فرطت في اليوم.

أخي الحبيب:

يا من تؤجل عمل اليوم إلى الغد، هل تضمن أن تعيش إلى الغد والموت يأتي بغتة؟

دعا أحد الأمراء رجلاً صالحًا إلى الطعام، فاعتذر بأنه صائم فقال الأمير: أفطر وصم غداً، قال: وهل تضمن لي أن أعيش إلى الغد؟

إن الذين يأخذون التسويف شعاراً لهم، فيؤخرون شغل اليوم إلى

الغد، هم العاجزون.

كما قال الشاعر:

ولا أؤخر شغل اليوم عن كسل إلى غد إن يوم العاجزين غد

أخي الحبيب:

عليك بأمر اليوم، ولا تؤخر، ولا تنتظر الغد، فإن من زرع في يومه حصد في غده، فبادر بفعل الخيرات وأداء الواجبات، ولا تؤجل فإن مرور الزمن ليس في صالحك، وليكن شعارك العمل وعدوك التسويف.

٢ ـ الغفلة:

وهي مرض إذا أصيب به الإنسان لا يشعر بذنب، ولا يحس بتقصير حتى يظن أنه على خير، ولا ينظر إلى النهاية، ولا يعتبر بالأحداث.

حتى أصبح حال الكثير من هؤلاء كما قال الشاعر:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم

وأخطر هذه الغفلة حين يغفل العبد عن يوم القيامة، كما قال الله تعالى: ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾ [الروم: ٧] وقال تعالى: ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ**﴾ [الأنبياء: ١].

ولهذا كان أعظم الناس تعرضًا للخسارة والهلاك أولئك الغافلين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ولذلك كان من دعاء بعض السلف: اللهم لا تدعنا في غمرة، ولا تأخذنا على غرة، ولا تجعلنا من الغافلين.

٣ ـ سب الزمان:

ومن الآفات المحذورة والسلبيات العائقة إلقاء اللوم على الدهر، ودوام الشكوى من ظلم الزمان، وقسوة الأيام حتى إن بعضهم ليتصور الزمان أو يصوره خصمًا يضطهده أو عدوًا يتربص به أو حاكمًا ظالمًا يعاقب البريء، فهذا صنف يهرب من تحمل المسئولية، وتحمل التبعية، ويلقيها على الزمان، وكان الواجب عليهم أن ينظروا فيما نزل بهم من نقمة، وما سلب منهم من نعمة، أن يرجعوه إلى سنن ـ الله تعالى ـ في خلقه، فالزمن ليس إلا وعاء للأحداث التي يجريها الله حسب سننه الكونية وهذا معنى الحديث الصحيح: «**لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر**» رواه مسلم.

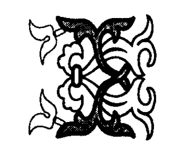
يقول الشاعر:

نعيب زماننا والعيب فينا	**وما لزماننا عيب سوانا**
ونهجوا ذا الزمان بغير ذنب	**ولو نطق الزمان بنا هجانا**

إن واجب المؤمن إذا نزل به ما يكره أن يرجع إلى نفسه فيحاسبها، وإلى ربه، فيقرع بابه بالتوبة والاستغفار، ويقول ما قاله أبواه (آدم وحواء) حين أخرجا من الجنة: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1] [الأعراف: ٢٣].

* * *

(١) «الوقت» للشيخ يوسف القرضاوي.



اللمسة الثالثة

الشباب والدعوة إلى الله



إن إحساسك ـ أخي الشاب ـ بتبليغ دين الله والدعوة إليه، مما يقوي ثباتك على الصراط المستقيم ويجعلك قويًا، عليّ الهمة.

فكن من ذلك على بصيرة، وذكر إخوانك صباح مساء بأهمية الدعوة إلى الله.

لابد أن يعلم الشباب فضل الدعوة إلى الله.

أتعرفون ـ يا شباب ـ فضل الدعوة والداعية عند الله؟

أتعرفون ماذا أعد الله للدعاة من مثوبة وأجر وكرامة؟

يكفي الدعاة ـ يا شباب ـ منزلة ورفعة، أنهم خير هذه الأمة على الإطلاق، قال تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ويكفي الدعاة سموًا وفلاحًا أنهم المفلحون والسعداء في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وهل هناك ـ يا شباب ـ أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى الله، لا أحد أحسن قولاً منهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣] إن القيام بالدعوة إلى الله من صفات المؤمنين المتكاتفين الموعودين بالرحمة قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

أتعلمون - يا شباب - أن الدعوة إلى الله لها ثمار كثيرة ومنافع عظيمة من ذلك: التمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

يكفي الدعاة فخراً وخيرية أن تسببهم في الهداية خير مما طلعت عليه الشمس وغربت.

روى البخاري عنه ﷺ أنه قال: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم**»(١) وفي رواية الحاكم: «**خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت**».

ألا تعلمون يا شباب أن أجر الداعي مستمر حتى بعد مماته.

روى مسلم عن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى الهدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٣٠٠٩).

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٤).

هل رأيتم ـ يا شباب ـ منزلة تضاهي منزلة الدعوة؟

فإذا كان الأمر كذلك فانطلقوا ـ يا شباب ـ في مضمار الدعوة إلى الله مخلصين صادقين! لتحظوا بالأجر والمثوبة، والرفعة والكرامة[1] .

وحتى تؤتي الدعوة ثمارها لابد أن يعرف الشباب ما الأسلوب الأمثل في التأثير على الآخرين، من معالم هذا الأسلوب ـ يا شباب ـ أن يكون فعل الداعية مطابقًا لقوله، قال تعالى منكرًا ومنددًا بالذين يدعون غيرهم إلى الخير وينسون أنفسهم: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ [البقرة: ٤٤].

قال أبو الأسود الدؤلي:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإن انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل إن وعظت ويُقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم

ومن معالم الأسلوب الأمثل ـ يا دعاة الحق ـ البدء بالأهم فالمهم: يتضح ذلك جليًا في قول أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ: إن أول ما أنزل ـ أي: من القرآن ـ سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب النَّاس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أوّل شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا لا ندع الزنا أبدًا[2] .

---

(١) «دور الشباب في حمل رسالة الإسلام» (ص٤٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن (٤٩٩٣).

وقد أشارت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ إلىٰ الحكمة في ترتيب التنزيل، وأن أول ما نزل من القرآن: الدعوة إلىٰ التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس علىٰ ذلك أنزلت الأحكام(١) .

ويؤيد هذا حينما أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل إلىٰ اليمن فقال له: «**إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة....**»(٢) .

إذن لابد للداعية أن يراعي الأولويات في الدعوة إلىٰ الله، ولابد له أن يعرف كيف يبدأ؟ وكيف يدعو؟

من معالم الأسلوب الأقوم في التأثير: الرفق ولين الجانب.

ولقد تحلىٰ قدوة الدعاة نبينا ﷺ بالرفق في أقواله وأفعاله مع من دعاهم إلىٰ الله، وكان ذلك سببًا رئيسًا من أسباب نجاحه في دعوته.

وما أجمل ما عبر عنه القرآن الكريم، في أسلوب الدعوة، وأخلاق الداعية حيث قال: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل: ١٢٥].

---

(١) «فتح الباري» (٩/ ٤٠).
(٢) رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٥).

وإليكم ـ يا شباب ـ بعض النماذج:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: بال أعرابي في المسجد فقام النَّاس إليه ليقعوا فيه، قال النبي ﷺ: «**دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**»[١] .

وعن معاوية بن الحكم السلمي حدّث يومًا، فقال: بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثُكل أمياه!... ما شأنكم تنظرون إليّ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني سكت، فلما صلى عليه الصلاة والسلام، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلمًا قبله، ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرني، ولا ضربني ولا شتمني؛ وإنما قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**»[٢] .

وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ أن غلامًا شابًا أتى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله أتأذن لي في الزنى؟ فصاح الناس به، فقال النبي ﷺ: «**قرّبوه، ادن**» فدنا حتى جلس بين يديه.

فقال عليه الصلاة والسلام: «**أتحبه لأمك؟**».

قال: لا، جعلني الله فداك!

---

(١) رواه البخاري في كتاب الطهارة رقم (٢٢٠)، ومسلم في الطهارة رقم (٢٨٥).

(٢) رواه مسلم في كتاب المساجد رقم (٥٣٧).

قال: «**كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، أتحبه لابنتك؟**».

قال: لا، جعلني الله فداك!

قال: «**فكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم، أتحبه لأختك؟**».

قال: لا، جعلني الله فداك!

قال: «**فكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم**».

ثم وضع رسول الله ﷺ يده على صدره، وقال: «**اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه، وحصن فرجه**» فلم يكن شيء أبغض عليه من الزنى[1].

ولقد حثَّ النبيُّ ﷺ المسلمين عامة، ويدخل في ذلك الدعاة من باب أولى إلى التحلي بالرفق، فمن ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه**»[2].

وعن عائشة - رضي الله - عنها عن النبي ﷺ قال: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[3].

فبالرفق تساس الطباع، ويُعرف مكمن الداء، ويعطى الدواء؛ لتستقيم الأنفس على الخير، وتقبل دعوة الله - عز وجل - ويزول ما في الصدور ما حل فيها من عوارض البغض، وأسباب الشحناء، ولا شك أن الدواء

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥/ ٢٥٦).

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة (٢٥٩٣).

(٣) رواه مسلم في كتاب البر والصلة (٢٥٩٤).

لهذا كله بسلم الرفق[1] .

من معالم الأسلوب الأمثل في التأثير على الآخرين التواضع وخفض الجناح.

التواضع من أفضل الخصال التي يتحلى بها المؤمن، وقد أمر الله نبيه أن يتواضع للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

ولقد كان نبي الرحمة ﷺ هو قدوة الدعاة قمة في التواضع مع جميع الناس مع علو منصبه.

عن الأسود قال: سألت عائشة - رضي الله عنها - ما كان رسول الله ﷺ يصنع في أهله؟ فقالت: كان يكون في مهنة أهله، قال: تعني خدمة أهله، وإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة[2] .

وعن هشام عن أبيه قال: سأل رجل عائشة هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: نعم كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته[3] .

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: مرّ رسول الله ﷺ على صبيان فسلم عليهم[4] .

---

(١) كيف يدعو الداعية - عبد الله ناصح علوان (ص٧٥).

(٢) رواه البخاري (٦٧٦).

(٣) رواه أحمد (٦/ ١٢١).

(٤) رواه البخاري في كتاب الاستئذان (٦٢٤٧).

ومن التواضع طيب الحديث، والتبسم في وجه النَّاس، والرفق بهم وعدم مؤاخذتهم بزلاتهم، وتهدئة روعهم إذا فزعوا.

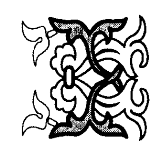
ومنه أيضًا: أن يمشي المؤمن هونًا، وأن يخفض جناحه لمن يلقاه، وأن يرضىٰ أن يأكل ما حضر من طعام، ويلبس ما تيسر له من اللباس، ويمتزج مع من يلتقي من البشر دون كبر أو أن يدخله بقية من عجب، أو تساوره نظرة من استعلاء، ولقد جعل الله تعالىٰ من أخص أوصاف تلك الأمة أنها متواضعة فيما بينها، شديدة علىٰ أعدائها قال الله تعالىٰ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾[1] [المائدة: ٥٤].

فالتواضع سبب في جعل الداعية محبوبًا بين النَّاس فيتأثروا به، ويتأسوا بأفعاله، أمَّا الكبر فإنه يجعل الداعية غير مألوفٍ في مجتمعه، ومن ثم لا يقبلون دعوته.

تلكم أهم معالم الأسلوب الأقوم في دعوة الآخرين، فعليكم أن تعملوا بها - يا شباب - فاحرصوا - يا شباب - أن تكونوا الدعاة الموفقين والهداة الناجين.

❊ ❊ ❊

(١) «أخلاقية الداعية» (ص٣٠).




اللمسة الرابعة
الشباب والقدوة

القدوة هي الأسوة:

والأسوة نوعان:

أسوة حسنة: كما قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٢١].

وأسوة سيئة: وهو كل من يقتدي به غيره في السوء والشر كقول المشركين حين دعتهم الرسل للتأسِّي بهم: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ**﴾ [الزخرف: ٢٣].

القدوة الصالحة سر النجاح، وأي شاب لابد أن تكون له قدوة، فإن كانت صالحة، بثت فيه روح التحدي، والإصرار للنجاح والتفوق وسلوك الطريق الصحيح، ولا فلاح - يا شباب - إلا بالاقتداء بهذه القدوة، أما إن فقدت القدوة الصالحة، فلا يجد الشباب أمامه إلا مشاهير الفن والكرة.

فإذا سألت الشاب، وقلت له: من هو مثلك الأعلى؟ لا يستحي أن

يذكر اسم مغنٍ، أو ممثل، أو لاعب كرة مشهور، والطامة أنه على غير ملة الإسلام.

ولعلي أضرب مثالاً عن شاب نشأ في بيئة طيبة، ولكن لم يجد التوجيه الصحيح، والقدوة الصالحة التي أثرت فيه، سئل عن تطلعاته إلى المستقبل، فأجاب أنه يود أن يكون ممثلاً أو مغنيًا، ولا تعجب من ذلك، لأنه فقد القدوة الصالحة، وعدم التوجيه الصحيح، وحدث عنده خلط بين الصالح والطالح.

وللأسف انخدع الشباب عن طريق وسائل الإعلام أو المجلات الفنية بتلميع شخصيات فنية أو كروية، ويجعلون من هذه الطبقة من البشر الذين ألفوا الحياة الفاسدة نماذج بشرية تحتذى ويقتدى بهم في فكره أو لباسه أو سلوكه، حتى أصبح من أهم طموحات كثير من الشباب أن يكون الفنان كذا أو المغني كذا، نسأل الله لنا ولهم العافية!

ومن المؤسف أن هذا التقليد ليس مقصوراً على الشباب، بل هو لدى الفتيات أيضًا.

والسبب في هذا:

جهل الشباب بمعرفة سيرة السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، وتابعي التابعين.

ماذا يعرف الشباب عن هؤلاء؟ (أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، وأبي عبيدة، وأبي هريرة، والزهري، . . .).

لقد برز جيل الصحابة، ذلك الجيل الفريد الذي لم يخضع لعقيدة فاسدة، وحمل عقيدة، تؤمن بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، ومحمد ﷺ نبيًا ورسولاً.

فحملوا هذا الدين، ودعوا الناس إليه، ولاقوا من العذاب في سبيله ما بلغ مداه، حتى أضاء هذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها، وسطع نوره للعالم كله بين عشية وضحاها.

هم السلف الصالح الذين نهجوا نهج النبي - عليه الصلاة والسلام - ومضوا على طريقته فأعطوا للأجيال من بعدهم أسمى القدوة، وأفضل الأسوة.

وإليكم - يا شباب الأمة - نماذج خالدة من مواقف أصحاب القدوة.

هذا مصعب بن عمير - رضي الله عنه - أسلم مع الأربعين الأوائل في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكتم إسلامه خوفًا من أمه وقومه، ولما كشفوا أمره أخذوه فحبسوه وعذبوه، فلم يزل محبوسًا معذبًا حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى، ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا!!.

وقُتل - رضي الله عنه - في غزوة أحد شهيدًا، فلم يجدوا شيئًا يكفنونه فيه سوى بردة، فكانوا إذا وضعوها على رأسه ظهرت رجلاه، وإذا وضعوها على رجليه ظهر رأسه، فقال لهم عليه الصلاة والسلام: **«اجعلوها مما يلي رأسه واجعلوا على رجليه من الإذخر»**.

وإليك أخي الشاب هذا المثال الحي والموقف البطولي، فهذا بلال رضي الله عنه المؤمن الصابر لقي في سبيل الدعوة ألوانًا من العذاب،

وأصنافًا من البلاء، فكلما اشتدت عليه وطأة الألم، ووُضعت على بطنه الحجارة الثقيلة في رمضاء مكة المحرقة ازداد إيمانًا وتثبيتًا، وهتف من الأعماق: أحد، أحد، فرد صمد!!.

وانظروا أيها الشباب إلى الثبات والتضحيات في سبيل الحق والدعوة:

وهذا عمار وأمه سمية، وأبوه ياسر - رضي الله عنهم جميعًا - قد تحملوا في سبيل إسلامهم ما لم يتحمله إنسان، وما إن علم بنو مخزوم بإسلامهم حتى انقضوا عليهم يذيقونهم أشد العذاب، ليفتنوهم عن دينهم، ويرجعوهم كفاراً بعد أن هداهم الله إلى الإسلام.

وفي بطحاء مكة حيث ترسل الشمس حرها المحرق، قضى آل ياسر أيامًا في عذاب مقيم، ومر عليهم رسول الله ﷺ وهم يعذبون، وسمع ياسراً يئن في قيوده، فنظر رسول الله ﷺ إلى السماء ونادى: «**أبشروا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة**».

وسمع آل ياسر النداء، فهدأت نفوسهم، وسكنت قلوبهم، ففاضت أرواحهم إلى الله، فكانت سمية - رضي الله عنها - أول شهيدة في الإسلام، ثم تبعها ياسر، وكان أول من استشهد من الرجال.

هكذا كانوا - رضي الله عنهم - وهكذا يجب أن يكون من يأتي بعدهم، وهكذا يجب أن تكونوا - يا شباب الإسلام - اليوم إن أردتم النصر لدينكم، والعزة لأمتكم.

وإليكم - يا شباب الإسلام - نموذج خالد، وجرأة في سبيل الحق.

هذا (قتيبة الباهلي) الذي توغل في آخر الشرق، وأبى إلا أن يدخل

بلاد الصين، فقال له أحد أتباعه محذرًا مشفقًا: لقد أوغلت في بلاد الترك يا قتيبة، والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر، فأجابه قتيبة والإيمان قد بلغ منه كل مبلغ: بثقتي بنصر الله توغلت، وإذا انقضت المدة لم تنفع العدة، فلما رأى ذلك المحذر والمشفق عزمه وتصميمه على المضي لإعلاء كلمة الله، والجهاد في الأرض قال له: اسلك سبيلك حيث شئت - يا قتيبة - فهذا عزم لا يفله إلا الله!

من ذا الذي رفع السيوف ليرفع اسـ ـملك فوق هامات النجوم منارا
كنا جبالا في الجبال وربما سرنا على موج البحار بحارا
كنا نقدم للسيوف صدورنا لم نخش يومًا غاشمًا جبارا
ندعوا جهارًا لا إله سوى الذي صنع الوجود وقدر الأقدارا
ورءوسنا يا رب فوق أكفنا نرجوا ثوابك مغنمًا وجوارا

هذا يا شباب سر عظمة القوم، وسبيل رفعتهم، ألا تقتدوا بهم! إنهم قمم كالجبال، ونجوم سطعت في السماء.

لقد ضربوا لنا أروع الأمثلة في شئون الحياة كلها، فما عرفت الدنيا أفضل منهم علمًا، وأحسن منهم خلقًا، صفت نفوسهم، وارتفعت همتهم.

يا شباب: هل هؤلاء تخرجوا من مدرسة أو جامعة؟ نعم تخرجوا من مدرسة السلف الصالح، قبل أن تعرف الدنيا مدرسة، أو جامعة، أو معاهد.

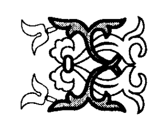
نعم - يا شباب - إن شباب السلف، نجوم تلوح في الأفق، خير من يقتدى بهم.

ومن المؤسف في ظل الحرب على الإسلام، بل من العار عليك أيها

الشاب أن تخذل أمتك، بتقليد أعدائك في هيئتك أو ملبسك، أو طريقة تفكيرك، أو أسلوب حياتك، ومن خوارم المروءة أن تتشبه بالنساء، أو يكون قدوتك سواقط الفنانين والفنانات.

وختامًا - يا شباب - اسمعوا ما قاله الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - فيمن يجب التأسي بأفعالهم الحميدة، وثباتهم النادر: من كان متأسيًا فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالاً، اختارهم لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.

❊ ❊ ❊



نداء للشباب



أناديكم يا شباب بدعوة عاجلة للإصلاح، دعوة عاجلة للمراجعة، دعوة للحساب، هي دعوة إلىٰ كل شاب يؤمن بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، ومحمد نبيًّا ورسولاً، تعود إلىٰ طريق الاستقامة، ذلك الطريق الذي اختاره الله لك، ألا إنها دعوة لشبابنا.

شباب الجيل للإسلام عودوا — فأنتم روحه وبكم يسود
وأنتم سر نهضته قديمًا — وأنتم فجره الزاهي الجديد

يا شباب أدعوكم لتحكموا، وبمنطق العقل تفكروا، مَنْ - يا شباب - أولىٰ بالقدوة؟ ومن أحق بالأسوة؟ لو وضع لك الخيار بين إحدىٰ الطائفتين، بين حزب عمر، وعثمان، وعلي، والمقداد، أم حزب الفنانين والفنانات، ما أراك إلا أن تجيب وبلسان الحال: أنا من حزب عمر، وعثمان، وعلي، فاستبشر بأنك ستسلك الطريق، وإن لم تصل إلىٰ النهاية التي وصلوا إليها، ولكن في الطريق.

دوركم يا شباب، أن تتحملوا المسئولية، وتنهضوا بأمتكم، مهما وقفت في طريقكم العقبات، ومهما عصفت بكم المحن والأحداث.

إخواني الشباب: لقد آن لكم أن تعتزوا بإسلامكم وتفخروا بدينكم، وترفعوا أصواتكم عالية خفاقة، وترددوا: إننا مسلمون، إننا مسلمون.

ما أحلى - يا شباب - إذا خرجت هذه الكلمات من أفواه صادقة، وقلوب نابضة بالإيمان، تشبهوا بالصالحين وإن لم تكونوا مثلهم وليكن لسان حالكم يردد قول خبيب:

ولست أبالي حين أُقتل مسلمـًا   على أي جنب كان في الله مصرعي

مهمتكم - يا شباب - أن تسيروا على طريق كتاب ربكم، وسنة نبيكم، حتى ترفعوا راية الإسلام خفاقة قد ارتفعت فوق الرايات كلها.

إن جيلكم - يا شباب الإسلام - في ظل حرب العقائد المعلنة وصراع الحضارات المصطنعة مطالب بأداء مسئوليته الكبرى، في إنقاذ بلاد الإسلام، من الحرب الفكرية كالتنصير والتبشير، ومن هجمات المستشرقين وأهدافهم، ومن وراء هذا كله لا تنس تخطيط اليهود، ليفسدوا العالم في عقيدته، وفكره، وأخلاقه عن طريق دور النشر والمسرح والسينما.

وكلكم تعلمون - يا شباب - أن أحلام اليهود وآمالهم لم تكن قاصرة على إقامة دولتهم المزعومة في بقعة المسجد الأقصى وما حولها، وإنما مخططهم الرهيب، ومؤامرتهم الكبرى تمتد من الفرات إلى النيل، بل يخططون على أكبر من ذلك الاستيلاء على المدينة المنورة، والمسجد الحرام؛ لاعتقادهم الباطل أن هذه البلاد هي بلاد آبائهم وأجدادهم.

هل أدركتم ـ يا شباب ـ الخطر الذي يهدد بلاد الإسلام.

أوصيكم - يا شباب - ألا نيأس وأن نتفاءل بالنصر لأن القرآن حرم

اليأس، وندد باليائسين قال تعالى: ﴿وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

واحذروا - يا شباب - من هذه المصطلحات وكلمات التخذيل (إن المسلمين ضعاف) (نحن عاجزون لا نملك شيئًا) (القوة مع غيرنا).

يا شباب لا يجوز اليأس في دين الله؛ لأن اليأس قاتل الرجال، وهازم الأبطال.

من كان يظن - يا شباب - أن تقوم للإسلام قائمة بعد احتلال الصليبيين لكثير من البلاد الإسلامية والمسجد الأقصى ما يقرب من مائة عام، حتى ظن الكثير من الناس أن لا أمل في انتصار المسلمين على الصليبيين، من كان يظن أن هذه البلاد ستتحرر في يوم ما على يد البطل المغوار (صلاح الدين) في معركة حطين الحاسمة، ويصبح للمسلمين من الكيان والقوة والعزة والسيادة.

إن التفاؤل بالنصر - يا شباب - هو الذي يهيئ النصر ولا ينال النصر إلى على جسر المتاعب، وبعد بذل الجهد، واستنفار القوى، وإحياء الهمم، وهذا كله يحقق المزيد من الانتصارات في كل زمان ومكان، وإن الله مع المتقين المجاهدين قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ألا تعلم أخي الشاب أن أعداء الله في كل مكان، يحاولون الرجوع بك إلى الجاهلية الأولى لإقناعك بالتخلي عن دينك، بل والشعور

بالخجل من الإعلان والاعتزاز بالإسلام.

فهذه أساليب خبيثة، تزعزع عقيدة الشاب، وتقتل مروءته، فكن أخي الشاب على حذر من سهام هؤلاء.

أيها الشاب سل نفسك، ماذا يريد منك أصحاب الدعوات الهدامة والمزيفة، هل يريدون مصلحتك؟ هل يريدون تعليمك الأخلاق القويمة والآداب الحسنة؟ هل يريدون إرشادك إلى الحق؟ كلا وربي، إليكم أيها الشباب بعض اعترافاتهم لتكونوا على بينةٍ من باب قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف:٢٦] ومن باب قولهم: (الحق ما شهدت به الأعداء).

قال مسئول في وزارة الخارجية الفرنسية:

ليست الشيوعية خطراً على أوربا فيما يبدو لي، إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً وعنيفًا وهو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة.

فلنعط هذا العالم الإسلامي ما يشاء، ولنقوِّ في نفسه الرغبة في عدم الإنتاج الصناعي والفني حتى لا ينهض، فإذا عجزنا عن تحقيق هذا الهدف بإبقاء المسلم متخلفًا، وتحرر العملاق من قيود جهله، وعقدة الشعور بعجزه فقد بؤنا بإخفاق خطير، وأصبح العالم العربي وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطراً داهمًا ينتهي به الغرب، وتنتهي معه وظيفته الحضارية كقائد للعالم.

وجاء في كتاب (حكومة العالم السرية) روتشيلد: تذكروا يا أبنائي بأن الأرض كلها ستكون لنا نحن اليهود، أما غيرنا وهم حثالة الحيوانات وبرازها فلن يملكوا شيئًا أبدًا.

فهيا - يا شباب - استمسكوا بدينكم واعتزوا به! والله إنه فيه العزة والكرامة، آن لكم أن تقولوا: رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد - ﷺ - نبيًّا ورسولاً.

أخي الشاب: يا من قرأت هذه الرسالة، قف قليلاً مع هذه الأسطر، وراجع نفسك، وحاسبها وانظر كيف أنت في هذه الحياة؟ هل أنت من أولئك اللاهين الغافلين أم لا؟ وهل أنت تسير في الطريق الصحيح الموصل إلى رضوان الله وجنته؟ أم أنك تسير وفق رغباتك وشهواتك؟ حتى ولو كان في ذلك شقاؤك وهلاكك؟

انظر أخي الشاب: في أي الطريقين تسير؟ فإن المسألة - والله - خطيرة، وإن الأمر جد، وليس بهزل، ولا أظن أن عندك شيئًا أغلى من نفسك، فاحرص على نجاتها وفكاكها من النار، ومن غضب الجبار.

❊ ❊ ❊

* تحلي أخي الشاب بالإيمان الراسخ الذي لا يتزعزع ولا يلين.

* ليكن شعارك الإخلاص الصادق، الذي لا يعرف المراءاة.

* اجعل من صفاتك العزيمة المتينة التي لا تعرف الخوف ولا الوجل.

* تزود من العلم الشرعي، من كتاب الله، واحرص على حفظه، أو ما تيسر منه، وضع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ نصب عينيك، في أفعالك وأقوالك، وحركاتك، وسكناتك، وليكن قول الله - عز وجل -: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

أخي الشاب:

اقرأ القرآن، وتدبر تلاوته، وتدبر سيرة رسول الله ﷺ وصحباته الكرام، رضي الله عنهم أجمعين، ولا تنشغل بالأغاني والأفلام، والقيل والقال.

أخي الشاب:

تحل بالأخلاق الفاضلة، من الصدق، والأمانة، والحياء، والتواضع، والصبر، وعليك بصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإنفاق في سبيل الله،

واحذر الأخلاق السيئة، كالغيبة، والنميمة، والغش، والرياء، والكبر.

أخي الشاب:

صلاحك في تقواك، وفوزك في خوف الله، فاستعصم أخي بتقوىٰ الله تعالىٰ، واجعلها لك في كل حال، فإنك لا ترىٰ في الضيق إلا السعة، وفي المرض إلا العافية.

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى ... تقلب عريانًا ولو كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربِّه ... ولا خير فيمن كان لله عاصيا

أخي الحبيب:

قف مع نفسك وقفة صدق، فربما تنام ولا تقوم، وقد تذهب إلىٰ عملك ولا تعود، وربما تتناول طعام الغداء ولا تتناول طعام العشاء، وقد تركب سيارتك وقد تخرج منها وأنت في عداد الموتىٰ، قد تلبس ثوبك ويخلعها غاسلك.

أخي الشاب:

عجل وسارع ولا تتأخر ولبِّ منادي الإيمان ﴿**يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الأحقاف: ٣١].
إذا قلت له: وعجلت إليك رب؛ لترضىٰ، قبلك وغفر لك إنه هو الودود الرحيم.

وقل كما يقول المؤمنون من قبل ﴿**سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ [البقرة: ٢٨٥].

أخي الشباب:

وإياك والتسويف! ودع عنك وساوس الشيطان ولوم الناس وانتقادهم، فإن حساب الله شديد، ولا يغرنك كثرة الهالكين، فإن الله لا يعجزه كثرة من عصاه أن يعذبهم جميعًا، فهؤلاء يذهبون طيباتهم في حياتهم الدنيا بشهوة عاجلة، فإن العبرة بالحياة الآخرة، فالسعيد من حجب نفسه، مما يغضب الله يوم القيامة، فإن ربنا سريع الحساب.

وأنا أودّعك أخي الشاب:

حافظ على الصلوات الخمس في الجماعة في المسجد، وكن بارًّا بوالديك، فإنه سعادة في الدنيا وفوز في الآخرة.

احرص على صحبة الأخيار، واحذر من صحبة الأشرار.

حافظ على وقتك واستفد منه ولا تضيعه فيما لا يعود عليك بالفائدة في الدنيا والآخرة.

تحل بالرفق واللين، فهي من مكارم الأخلاق التي كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يوصي بها.

وكن أخي رحيمًا بالضعفاء من اليتامى والفقراء حتى ولو بالبسمة أو الكلمة الطيبة.

ولتكن أخي ذا خلق حسن في البيت، وفي المدرسة، وفي الشارع، وفي السوق.

كونوا - يا شباب - كما وصفكم الشاعر الإسلامي:

شـبـاب ذلّـلوا سـبل المعـالي ... ومـا عـرفـوا سـوى الإسـلام دينا
تعـهـدهم فـأنبـتـهم نبـاتًا ... كـريمًا طـاب في الدنيـا غـصـونا
إذا شـهـدوا الوغى كـانوا كـماة ... يدكـون المعـاقـل والحـصـونا
وإن جن المسـاء فـلا تـراهم ... من الإشـفـاق إلا سـاجـدينا
كـذلك أخـرج الإسـلام قـومي ... شـبـابًا مـخلصًـا حـرًا أمـينا
وعلمـه الكرامـة كـيف تبنى ... فـيـأبى أن يذل أو يهـونا

أخي الشـاب: إن كنت من أهل الصلاح، اسمع ما أقول، وكن ترجمان صدق، لمن كان وراءك فليس كل شاب يقرأ هذه الرسالة، فعليك أن تكون رسول خير في إبلاغ هذا النصح.

وقبل أن أختم الحديث ونفترق، أنا وأنت، أوصيك ونفسي بتقوىٰ الله والإخلاص في السر والعلن والقول والعمل. وعذرًا أيها الشباب إن كنت لم أستطع التشخيص لكل أدوائكم أو قصرت في حل مشاكلكم.

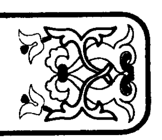
وفقني الله وإياكم إلىٰ ما يحبه الله ويرضاه، وأن يجعلني الله وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أخوكم

محمود أحمد راشد

الأربعاء ٢٨ من ذي الحجة ١٤٢٤هـ



فهرست الموضوعات

